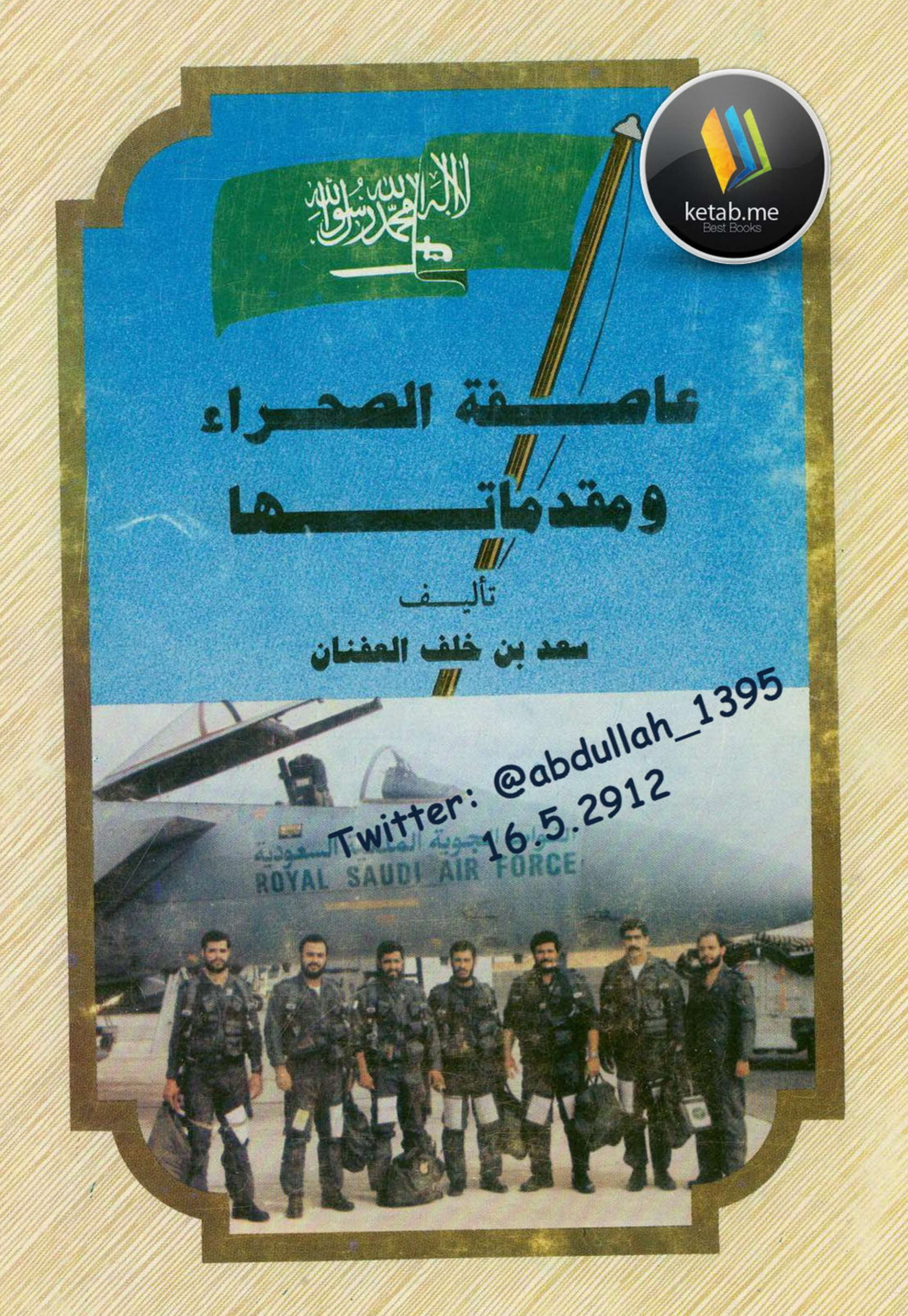

لا إله إلا الله محمد رسول الله
عاصفة الصحراء
ومقدماتها
تأليف
سعد بن خلف العفنان
القوات الجوية الملكية السعودية
ROYAL SAUDI AIR FORCE
ketab.me
Best Books
Twitter: @abdullah_1395
16.5.2912

عاصفة الصحراء

و

مقدماتها

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

تأليف

سعد بن خلف العفنان


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أهدي هذا الكتاب إلى مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المفدى ، وذلك للموقف الحازم الذي إتخذه إزاء المخطط الطائش الذي إستهدف إحتلال الكـويت وزعـزعت الأمن والإستقـرار في منطقة الخليج بصورة خاصة وفي المنطقة العربية بأسرها .

وأُحيي رجال **القوات المسلحة السعودية** الأبطال الذين أبلوا بلاءً رائعاً في معارك عاصفة الصحراء من أجل تحرير الكويت فأستحقوا أن يشاد بهم على مستوى العالم ، وأفخر وأعتز بالمعطيات الهائلة والمتنوعة للمملكة العربية السعودية التي تفاعلت مع الحدث فكان لها الدور الأول والرئيسي في النتائج العظيمة التي تحققت .

المـؤلـــف

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الـذي لا رب أو معبـود سواه ، والصـلاة والســلام على رسوله الذي اصطفاه ، نبينا محمد ابن عبد الله ، ورضي الله عن آله وصحبه ومن سار على هداه .

أما بعـــد

فإن هذا الكتاب هو متابعة ورصد لأهم تطورات أزمة الخليـج التي نشـأت عن إجتيـاح القـوات العراقية لدولة الكــويت في الثـاني من شهـر أغسـطس عام ١٩٩٠ م . ومواكبة حية لعمليات عاصفة الصحراء من أجل تحرير الكويت .

فمن خلال موضوعات هذا الكتاب قمت بالقاء الأضواء على الكثير من القضايا وناقشت العديد من المواقف بما يجلو اللبس ويوضح الحق ويبرز الحقائق .

لقد كانت هذه الأزمة هي المادة الرئيسية لوسائل الاعلام العالمي على اختلافها وتنوعها على مدى الثمانية أشهر الماضية .

ولا شك أن هذه الأزمة وما يترتب عليها من أثار ستبقى لفترة طويلة جداً مجال للبحث والتأليف لمختلف الجهات والأشخاص ، وسوف تختلف على صعيدها الآراء وتتفاوت الأفكار بحسب إختلاف الأغراض وتباين التوجهات ، ولكن الجميع سوف يدورون حول الحقيقة وسيكون لكل نصيبه من الخطأ والصواب .

وبما أن الخطأ والصواب خاصة في مجال التأليف من الأمور النسبية لما يحتمل فيها من إختلاف الرأي وتباين درجات الفهم والاستيعاب فاني لا يمكن أن أزعم أن ما وضعته في كتابي هذا هو القول الفصل الذي لا ينقص .

إن التأليف في موضوع ما ، يعتبر قضية اجتهادية ولابد أن تختلف الآراء وتتعدد وجهات النظر وكذلك أساليب المناقشة والاستعراض ، ولذلك قيل « إنه بإختلاف الآراء وتعدد وجهات النظر تكتمل المعرفة » .

ولذلك فإن الذي أستطيع أن أوكده هنا هو اني حرصت قدر طاقتي وامكانياتي على أن تكون معالجاتي في هذا الكتاب موضوعية وهادفة . وعليه آمل أن أكون قد وفقت فيما أردت ، وأدعو الله جل شأنه أن يحفظ لنا ديننا الذي فيه عصمة أمرنا ، وأن يلهم ولاة أمورنا السداد دائماً ، وأن يجنب أمتنا وبلادنا كل مكروه انه سميع مجيب .

المؤلف

اجتياح الكويت وما هي المبررات والدوافع ؟

قبيل فجـر اليوم الثـاني من شهـر أغسـطس من عام ١٩٩٠ م قامت القـوات العـراقية باجتياح دولـة الكـويت بعملية عسكرية خاطفة بواسطة ما يقارب مائة وسبعين ألف جندي مدعومين بأحدث الآلات والمعدات العسكرية التي يمكن لدولة شرق أوسطية أن تمتلكها .

وقد جاءت هذه الخطوة مفاجأة للعالم كله ونزلت نزول الصاعقة على عقول ونفوس العرب على مختلف مستوياتهم السياسية والفكرية والإجتماعية ، إذ ما كان أحد من العرب مستعداً لاستقبال مثل هذا الحدث .

وما كان أحد يتصور أن العراق سوف يقدم على خوض حرب جديـدة وهـو خارج لتـوه من حرب مروعـة مدمـرة استمرت ثمان سنوات مع إيران وكانت نتيجتها بعد الخسائر الفادحة بالأرواح والعمران أن يعود كل إلى حدوده قبل الحرب .

وأعلن العراق في اليوم الأول للاجتياح أنه أقدم على دفع قواته للكويت تلبية لنداءٍ ممن أسماهم أحرار الكويت الذين

زعم العراق انهم قاموا بثورة في الكويت ، وثبت فيما بعد انه لا ثورة ولا هم يحزنون .

وفي ٥ / ٨ أعلن العـراق عدداً من الأسماء المغمورة ، وقال بأنهم أعضاء ما أسماه بحكومة الكويت الحرة ، وجميع هؤلاء كانـوا بعـثيين ، وبعضهم من أصـل عراقي ، أو عراقيين أقحاح ، وثبت فيما بعد أن رئيس هذه الحكومة التي قال عنهـا الكـويتيون بأنها حكـومـة كرتونية ، كان ضابطاً عراقياً ، وكان يعمل ملحقاً عسكرياً في السفارة العراقية في ليبيا في وقت سابق .

وأمـام الادانـات العربية والإسلامية والدولية الإجماعية أعلن العـراق انـه سوف يسحب قواتـه من الكـويت على مراحل ابتداءً من يوم ٥ / ٨ وفي الوقت ذاته أعلن العراق أن الكويت صارت جمهورية حرة .

ولم تستمر جمهورية الكويت الحرة إلا يوماً واحداً ، ذلك أن العراق أعلن في اليوم التالي إتحاد الكويت مع العراق .

وفي يوم ٨ / ٨ أعلن العراق ضم الكويت إلى العراق

بشكل نهائي ، وقال عن هذا الضم بأنه عودة الجزء إلى الكل وعودة الفرع إلى الأصل .

ثم بدأ العراق يحكم سيطرته على الكويت ويصدر الأوامر والمراسيم بتجزئة الكويت إلى جزئين ، فجعل الأجزاء الشمالية من الكويت لواءً تابعاً لمحافظة البصرة ، وجعل باقي مناطق الكويت محافظة أسماها المحافظة التاسعة عشر من العراق ، وعمد العراق إلى تطبيق الأنظمة واللوائح العراقية على مواطني الكويت وعلى الممتلكات الكويتية العامة والخاصة ، فصدر أمر جمهوري بمصادرة أموال وممتلكات عدد كبير من رجال حكومة الكويت وكبار المسئولين وأفراد أسرة آل الصباح الحاكمة ، وصدرت الأوامر والقوانين بإلغاء الهوية الكويتية في جميع المجالات ابتداءً من الغاء الجنسية للمواطنين الكويتيين إلى تغيير استمارات السيارات وأسماء الشوارع .

وقد جاءت جميع هذه الإجراءات فورية « ثورية » وتحمل قدراً كبيراً وواضحاً من التحدي للقرارات العربية والإسلامية والدولية التى توالت في إدانة الإجتياح العراقي للكويت والتي طالبت بعودة الشرعية الكويتية وحملت العراق كل ما ترتب على اجتياحه للكويت من خسائر وأضرار .

عندما أعلن العراق انه سيسحب قواته من الكويت على مراحـل ابتـداء من يوم ٥ / ٨ وبـاشر ذلك فعلاً بسحب بعض القطاعات في ذلك اليوم أمام الصحافيين والمصورين لم تشـأ كثير من الدول العربية والدول الغربية أن تصدقه وإعتبرت ذلك لعبة سياسية لا يمكن التعامل معها لأن ذلك معناه التسليم بالشروط التي يضعها العراق لما يجب أن تكون عليه الكويت مستقبلاً وهذا غير مقبول .

وفي حين أصرت الدول العربية المعنية خاصة دول مجلس التعـاون الخليجي ومصر وسـوريـا على ضرورة إنسحـاب العـراق من الكـويت فوراً وبـدون قيد أو شرط ، أكدت الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على أن انسحاب العراق من الكويت لا يكفي ، اذ لابد من تدمـير آلـة العـراق العسكـرية وتجريده من أسلحة الدمار الشامل وتطويعه حتى يتسق في منظومة دول العالم الثالث فيما يسمي بالتوازنات الدولية والإقليمية وفي الشرق الأوسط بصورة خاصة .

وهكذا وجد العراق نفسه أمام جبهة عسكرية وسياسية عالمية مشتركة مكونة من ثلاثين دولة تمثل الإجماع الدولي في

ادانة الاجتياح العراقي للكويت وتطالب بالانسحاب الفوري وغير المشروط .

وحيال هذه الجبهة العالمية وذلك الإجماع الدولي الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ أعلن الرئيس العراقي صدام حسين مبادرة عراقية من قسمين ، وذلك في الثاني عشر من شهر أغسطس عام ١٩٩٠ م بعد الاجتياح بعشرة أيام .

القسم الأول ـ ربط انسحاب العراق من الكويت بإنسحاب إسرائيل من فلسطين ومن الأراضي السورية واللبنانية وانسحاب متبادل بين العراق وإيران في الخليج[١] وإنسحاب القوات الأجنبية التي جاءت للمنطقة لمجابهة العراق ، وأن يتم ذلك وفق مبدأ واحد وحسب الأولويات الزمنية للاحتلال .

القسم الثاني ـ أن يلغى الحظر الإقتصادي وجميع أنواع الحظر على العراق وجميع أشكال المقاطعة وقرارات الادانة وأن يطبق على أية دولة ترفض الانسحاب ما طبق على العراق .

---

(١) كان ذلك قبل قرار العراق الانسحاب من الأراضي الايرانية من جانب واحد الذي تم في ٢٠ / ٨ / ١٩٩٠ م

ومع أن هذه المبادرة بدت منطقية إلا أن القبول بها كان يعني إضفاء الشرعية على الإحتلال العراقي للكويت بشكل أو بآخر .

ومـع أن هذه الخطة حظيت بقبـول وتـرحيب بعض الأوساط الشعبية والحزبية في العالمين العربي والإسلامي ، فإنها على المستويات الرسمية لم تقدم ولم تؤخر بأي شكل من الأشكـال ، بل زادت من الاصرار في ضرورة المجابهـة العسكـرية وكشفت الحقيقـة الـزائفة للأحزاب الانتهازية خاصـة تلك التي ترفـع شعـارات إسـلامية طالما جاهرت بعدائها لصدام حسين ونظام حكمه ، وإذا بها الآن تنضم إليه وتعلن مولاته عندما أقدم على هذه المجازفة الخطيرة .

لقد كانت هذه المبادرة حاذقة جداً ولكنها لم تثبت إلا أمراً واحداً لا ثاني له وهو ان الإنسحاب العراقي من الكويت هو الحل الذي لا بديل له لتجنب الكارثة المحققة لأنه ان لم يكن الانسحـاب فالمـواجهـة العسكرية مؤكدة ، وهي بالتأكيد مواجهة لا قبل للعراق بها .

إن ما أقدم عليه العراق كان مجازفة خطيرة جداً جعلت العراق عرضة للتدمير ومزقت عرى التضامن العربي وعادت

بالعرب عشرات السنين إلى الوراء خاصة العراق والكويت وقضية العرب الأولى ، قضية فلسطين ، وقضية التضامن العربي .

لقد حشد العراق أكثر من نصف مليون عسكري في الكويت وبلغت الحشوات المشتركة من الدول المناوءة ما يوازي ما حشده العراق في الكويت من أفراد ، وما يفوق ما للعراق من معدات عسكرية بأضعاف كماً ونوعاً خاصة في الطيران والأساطيل البحرية ووسائل المراقبة والاستطلاع البري والبحري والجوي والفضائي ، الأمر الذي جعل المواجهة أكيدة وماحقة .

هكذا وضعت القيادة العراقية نفسها في مجابهة العالم كله بشكل فاجأ الجميع وأذهل الجميع وعصف بالعرب وأحرجهم حرجاً شديداً ، فما هي الأسباب والمبررات التي جعلت الرئيس العراقي صدام حسين والقيادة العراقية ينزلقون بالعراق وبالقضايا العربية المصيرية هذا المنزلق المدمر . ؟

لقد كان بين العراق والكويت خلاف حدودي حول حقل الرميلة النفطي ، وكان للعراق مطلبين لم يقبلهما الكويت :

المطلب الأول : طلب العراق استئجار جزيرتي وربه وبوبيان .

والمطلب الثاني : طلب العراق إعفاءه من الدين المترتب عليه من القروض الكويتية التي حصل عليها أثناء الحرب الايرانية العراقية .

لكن العراق لم يبرر اجتياحه للكويت بهذه القضايا وذلك لعلمه أن أى إنسان عاقل لا يمكن أن يوافق على أن هذه القضايا تستحق أن يطلق بشأنها طلقة واحدة أو تراق من أجلها قطرة دم من جندي عراقي أو مواطن كويتي لأن مثل هذه القضايا يمكن أن تحل بالتفاهم والمفاوضات السياسية وتوسيط الأشقاء أو تحكيم الهيئات العربية والإسلامية أو الدولية ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الاجتياح العسكري الخاطف هو الحل خاصة بين الأشقاء بالدم والجوار والعقيدة .

ولذلك لجأت القيادة العراقية إلى التذرع بذريعتين :

الذريعة الأولى : الادعاء بأن الكويت كانت جزءاً من العراق وأن الاستعمار فصل الكويت عن العراق ، وأن من

حق العراق أن يستعيد جزء مغتصب منه .

والذريعة الثانية ـ الادعاء بأن الكويت تحولت إلى بؤرة تآمر ضد العراق كان لابد من القضاء عليها .

بالنسبة للذريعة الأولى فان الكويت بالبديهيات الواقعة والحقائق التاريخية الثابتة لم تكن جزءاً من العراق بأية صورة من الصور ، وأن الكويت اقليمياً واجتماعياً تدخل في اطار شبه جزيرة العرب وبينها وبين العراق حدود اقليمية فاصلة .

ولم تخضع إدارة الكويت لغير الكويتيين منذ نشأتها وعبر كل مراحل تاريخها .

وقد الفت كتاباً بعنوان « الكويت والحقائق » بعد اجتياح القوات العراقية للكويت مباشرة أثبتت فيه هذه الحقيقة وشفعت الطبعة الثانية من كتابي الآنف الذكر بثلاث خرائط تاريخية تثبت أمرين :

الأمر الأول : أن الكويت جزء من شبه جزيرة العرب .

والأمر الثاني : أن العراق في أواخر العهد العثماني وفي العهد الاستعماري الانجليزي أضيفت إليه أجزاء من الكويت ومن شمال شبه جزيرة العرب .

وهذه حقائق تعرفها القيادة العراقية وتقربها بالواقع الثابت الملموس وبالاتفاقيات المبرمة بينها وبين حكومة الكويت .

وبالنسبة للذريعة الثانية فالقيادة العراقية ووسائل الاعلام في العراق لم يوردوا ما يؤكد إتهامهم للكويت بأنه صار بؤرة تآمر ضد العراق إلا حكاية انخفاض سعر البترول بسبب انتاج الكويت ثلاثمائة ألف برميل يومياً زيادة على حصة الكويت المقررة من قبل منظمة الاوبك في منتصف عام ١٩٩٠ م .

وهذه القضية صحيحة لكنها بأي وجه من الوجوه لا يمكن اعتبارها تآمر على العراق وذلك لعدة أسباب :

أولاً : أن الوشائج الأخوية التي تربط بين العراق والكويت كبلدين عربين شقيقين وجارين مسلمين هي أسمى وأكبر من أن تعكرها أو تؤثر على استمراريتها مثل هذه القضية الثانوية .

ثانيـاً : أن عدم التـزام بعض دول الأوبك بحصصها المقررة أمر يشمل ويعني جميع دول الاوبك ولا يخص العراق وحده وبالتالي فان معالجة مثل هذا الأمر ينبغي أن يتم على مستوى دول الأوبك مجتمعة وليس العراق وحده .

ثالثـاً : أن العـراق وبسبب ما بينـه وبين الكويت من وشائج قربى ومنافع متبادلة كان الأجدر به أن لا يجعل هذه القضية قضية خلاف ، بل كان الأجدى له أن يجعلها قضية تفاهم وتنقية أجواء وتصويب مسيرة .

رابعاً : أن هذه القضية تمت تسويتها بمساعي حميدة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والتزمت الكـويت بحصتهـا وانعقـد مؤتمر الأوبك وتم تحديد سعر جديد للبترول وفق مطالبة العراق قبل نهاية شهر يوليو وبعد ذلـك يجيء الاجتياح العـراقي العـاصف للكويت وكأن الجهود التي بذلت لم تبذل .

وبذلك ثبت أن جميع ما أثاره العراق من قضايا ما كان مقصـوداً بذاته وانما كان للتذرع به لتبرير اجتياح الكويت المبيت سلفاً والذي سوف نشرح أسبابه لاحقاً .

ان الـذي نعـرفـه ويعـرفـه كل العـراقيين وكل العرب والمطلعون في العالم هو أن الكويت كانت معين عطاء ومركز اشعـاع ثقـافي وفكري في دنيا العرب خاصة منذ أفاء الله عليها نعمة البترول ، وكانت الكويت أكثر عطاءً واشعاعاً ثقافياً وفكرياً في مرحلة الثمان سنوات التي كان العراق يخوض فيها الحرب مغ إيران .

فقـد وقف الكويتيون أثناء ما عرف بحرب الخليج إلى جانب العراق ودعموا المعركة بأرواحهم وأموالهم وأقلامهم بدوافع ذاتية نبيلة إنطلاقاً من قناعاتهم الثابتة بأن العراقيين أخوة أشقاء وأن من واجب العربي أن ينصر أخاه العربي إيماناً بأن معركة العرب واحدة .

لم يدفعهم أو يخدعهم أحـد إلى ذلك ، بل انهم تحدوا الضغوط وضحوا بالمصالح الذاتية في سبيل نصرة العراق .

لقد كانت الصحافة الكويتية مع العراق ، وكان الشارع الكـويتي كله مع العـراق ، وكـان المثقفون والمفكرون مع العراق ، تبرعوا بالأموال الطائلة لدعم المجهود العسكري العـراقي ، حتى اننا سمعنا وشاهدنا رجالاً يتبرعون بكل أموالهم للعراق .

وقـرأنـا شعراً كثيراً وأدبـاً غزيراً وفكـراً جماً كله أشـاد بانتصارات العراق واستهدف حشد الطاقات العربية لنصرة العراق ودعم صموده في معركته مع إيران .

لم يقدم العراق أية مبررات لاجتياحه للكويت غير هذه النقاط التي قدمنا الإشارة اليها والذي بينا بمناقشتها والقاء الأضواء عليها عدم كفايتها لأن يقوم بسببها أي خلاف بين البلدين الشقيقـين ، ناهيك عن الاجتيـاح والاحتـلال وتعريض مصير العراق والكويت والقضايا العربية المصيرية للخطر والتدمير .

إذن ، لماذا أقدم العراق على اجتياح الكويت ؟

إن اقـدام القيادة العـراقية على اجتياح الكـويت يعـود لعـوامـل ايـديـولوجية متعلقة بمنهج حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في العراق ، وعوامل سيكيولوجية متعلقة بشخصية الرئيس العراقي صدام حسين نفسه .

فأمـا ما يتعلق بأيديولوجية الحزب فان من المعروف أن الأحـزاب في الـوطن العربي بصورة عامة ، وحزب البعث

بشقيه المختلفين المتصارعين بصورة خاصة تقوم أول ما تقوم على « التقيه » وعلى الازدواجية ، وهو ما يمكن أن نعرفه بأنه التناقض بين القول والعمل أو اظهار شيء وعمل نقيضه ، وهذا نوع من أنواع الباطنية أو هو باطنية سياسية .

فهذه الأحزاب ترفع شعارات القومية العربية والإسلام وتستغل أماني الجماهير العربية لتحقيق أغراضها الحزبية الضيقة التي تنحصر في نهاية المطاف في جعل الحزب هو المرجع الأول والأخير في جميع الأمور وفرض إرادة قادة الحزب ومنظريه بدلاً من المصالح العامة للأمة ، وطرد كل عنصر في المجتمع لا يدين بالولاء للحزب ، ووسائل الطرد كثيرة ومتباينة وكلها قاتلة مميتة ، ومقيتة .

ومعروف أن حزب البعث العربي الإشتراكي حزب ثوري راديكالي متطرف ، والثورية الراديكالية كفكرة ومن حيث المبدأ الفلسفي لها ، ذات وجهين هما :

الهدم .

والإصلاح .

أمـا من حيث التـطبيق فان كثيـرين من الثـوريين الراديكاليين نجحوا في الهدم ، وفشلوا في الإصلاح ، وفي الـوطن العربي بالذات كان الهوج وعدم الصبر هو أساس الثـورية العربية ، فالثوري العربي كان وما يزال يريد كل شيء وفق منـظوره الخـاص ، وعنـدمـا تأبي الأشياء أن تستجيب للأغرار المتسرعين فانهم يعمدون إلى الهدم والتحطيم .

والهـدم ، هو هدم الـقيم ، والـتحـطيم هو تحطيم الفضـائل ، فإذا لم يجد الثوري العربي ما يحطمه من قيم وفضـائـل في دائـرة سيـطرته المطلقة ، هدم منهجه وحطم نفسه ، وذلك بكشف ورقته الأخيرة وأخرج نفسه من الدائرة التي يستطيع أن يذود عن صيرورته في اطارها على نحو ما أقدمت عليه القيادة البعثية في العراق باجتياحها لدولة الكويت .

ففي الأساس وُجد فرع حزب البعث في العراق كرد فعل مباشر للعنف والفـظائـع التي أقـدم عليهـا الشيـوعيـون العـراقيون عام ١٩٥٨ م بعد قيام ثورة عبد الكريم قاسمٍ الـذي أطلق أيدي الشيوعيين في العـراق فعـاثـوا فسـادا

وارهـابـاً ، سحلوا النـاس في الشـوارع ودفنوهم أحياءً ، وتصـدى العراقيون للأرهاب الشيوعي ، لكن الشيوعيين كانوا منظمين فوجد العراقيون أن لابد من تنظيم ينضوون تحت لوائه حتى يتمكنوا من التغلب على الشيوعيين ، فكان حزب البعث هو ذلك التنظيم الذي قابل العنف بالعنف ، والتصفية بالتصفية والإرهاب بالإرهاب ، وفي النهاية كانت الغلبـة للبعث وتمكن البعثيون من تصفية جميع الخصـوم واثبـات وجـودهم كقـوة رهيبـة في العراق ، ولكن بتأصل التصفية والعنف والارهاب كمنهج للحزب . ويضاف إلى هذه الأمور أن البعث كحزب اشتراكي راديكالي تبني نظرية الصراع الطبقي الماركسية وهي التي تقول بتقسيم المجتمع ، أي مجتمع إلى طبقات متصارعة ، والتي تفسر التاريخ على انه الصراع المادي بين الطبقات ، وبالتالي فان هذه النظرية تحتم انتصار طبقة « البوليتاريا » أي العمال على سائر طبقات المجتمـع ، وتطبيق هذه النظرية الماركسية ، يعني بالنسبة لحزب البعث العربي الإشتراكي بشقيه المختلفين المتصارعين حتمية انتصار الحزب ومؤيديه على جميع الفئات .

فكما تشترط الماركسية ان حق الحياة هو للبوليتاريا حسب النظرية المشار إليها فان أي جماعة أو حزب يتبني هذه النظرية فانما يشترط أن حق الحياة إنما هو له ولأنصاره فقط .

وقد استطاع البعثيون أن يقضوا على معارضيهم ويصفوا خصومهم داخل القطر العراقي على مدي ثلاثين سنة من الصراع الطبقي فسخر البعثيون موارد العراق الهائلة وامكانياته ومعطياته الحضارية والثقافية العريقة لخدمة الحزب وأهدافه .

والحزب أساساً يقوم على أن الوطن العربي والأمة العربية من المحيط إلى الخليج هما ميدان ومجال الطموحات البعثية الثورية الطبقية .

وبمقتضي ذلك فلابد للحزب من التقدم بين وقت وآخر خطوة بعد خطوة « في سبيل البعث[1] » فكان إجتياح القيادة العراقية لدولة الكويت في الثاني من شهر أغسطس من عام ١٩٩٠ م هو تمشياً مع هذه العوامل الايديولوجية المرقعة .

---

(١) هذه العبارة « في سبيل البعث » عنوان كتاب لمؤسس الحزب ومنظره مشيل عفلق .

ويضاف إلى هذه العوامل الايديولوجية أن شخصية الرئيس العراقي صدام حسين فيها من المغامرة أكثر مما يجب وفيها من الحكمة أقل مما يجب ، وان أبرز صفاته أنه يفرض رأيه مهما كان الرأي المقابل ، ولذلك نجده اذا اتخذ قراراً مضى قدماً بتنفيذه بدون أي حساب للعواقب .

وكثيراً ما سمعناه يقدم نتائج غير متوقعة ولا ممكنة ، يفترضها افتراضاً ، لاندفاعاته المتهورة ، من ذلك ـ مثلاً ـ انه عندما خاض الحرب مع إيران افترض في خطبه وبياناته أن العرب سوف ينضوون تحت قيادته في جبهة واحدة ضد إيران ، ولكن لم يحدث شيء من هذا .

وكذلك افترض صدام حسين بأن شعب عربستان سوف يرحب بالانفصال عن إيران ويقبل بإقامة جمهورية عربستانية موالية للعراق ، ولم يحدث شيء من هذا .

وها هو الآن يقدم على اجتياح الكويت ويعلن انه بهذا سوف ينتصر على الامبريالية الغربية وان هذا هو الطريق الصحيح إلى تحرير فلسطين وتوحيد العرب والمسلمين ، في حين ان الذي يحدث أمامنا هو العكس تماماً ، بل أن ما نراه

يحدث هو تدمير العراق وتركيعه واعطاء اسرائيل ما لم تكن تحلم به من التأييد والمعونات وتعاطف الأمم مع قضيتها .

وتتميز شخصية صدام حسين بأنه متحدث بارع يتقن الحديث في كل فن من فنون الكلام ، وبذلك فانه كثيراً ما تمكن من الالتفاف على كثير من الأشخاص الذين يكون له بهم غرض ، ولكننا نجده إذا تحقق له ما يريد وأصبح هذا الشخص أو ذاك غير مفيد له عمد إلى التخلص منه غير مكترث للأعتبارات والمثل التي تتطلب الوفاء .

يصف الدبلوماسي السوفييتي يفغيني بريماكوف الذي كلفه الرئيس السوفييتي غورباتشوف بزيارات مكوكية بين بغداد وعواصم العالم الاخرى لايجاد مخرج سلمي للأزمة يصف هذا الدبلوماسي شخصية الرئيس صدام حسين فيقول : انه صارم يمكن أن يتحول بطشاً وقوة ارادة تصل إلى حد العناد . . واستعداد للمضي نحو الهدف أيا كان الثمن .

والأمثلة والشواهد كثيرة في حياة الرئيس العراقي صدام حسين التي تثبت انه لا يؤمن جانبه لأنه أسير نزعاته الشخصية الصارمة .

فهـا هو صدام حسين يقلد أمـير دولـة الكـويت وسام الرافدين من الدرجة الاولى في احتفال وحفاوة بالغة في بغداد عام ١٩٨٨ ، ويكيل لشعب الكـويت عبـارات الثنـاء والعـرفـان على وقفتهم الأخـوية مع العـراق اثنـاء الحرب الايرانية العراقية ثم نراه ينقلب فجأة ويهاجم الكويت ويزج بالعـراق وبـالكـويت وبـالقضايا العربية المصيرية في أتون مغامرة طائشة أعادت العرب حقباً أخرى إلى الوراء .

أدت عملية إجتياح الكويت واحتلالها والسيطرة المطلقة عليها من قبل القيادة العراقية إلى بروز العديد من المواقف على صعيد الأزمة ، ومن هذه المواقف ما يلي :

أولا : موقف ادانـة الاحتلال ، وهو موقف تبنته جميع المنـظمات الـدولية ابتـداءً بجـامعـة الدول العربية وانتهاءً بمجلس الأمن الدولى . وقد حظي هذا الموقف باجماع دول العـالم كلها ، العربية والإسلامية والأجنبية ، حتى الذين تعاطفوا مع العراق ، أو كانوا يبطنون مولاته وتأييده أدانوا احتلاله للكويت .

ثانياً : موقف ضرورة الانسحاب من الكويت بدون قيد أو شرط وعـودة الشرعية الكويتية كما كانت قبل الثاني من شهر اغسطس عام ١٩٩٠ م . وقد أيدت جميع دول العالم كل القـرارات التي اتخـذت من مجلس الأمن الـدولي ومن جامعة الدول العربية لتأييد هذا الموقف ما عدى كوبا وتسع دول عربية كان لها بعض التحفـظات التي تتعلق بوجوب بحث أسبـاب النـزاع الـذي أدى إلى الأزمـة ، أو بكيفية

الانسحاب ، وليس بالإعتراض على الانسحاب من حيث المبدأ .

والدول العربية التي كان لها تحفظات أو حجبت صوتها **هي الاردن ودولة فلسطين واليمن والسودان وموريتانيا وتونس والجزائر وليبيا والعراق طبعاً .**

ثالثاً : قرار المملكة العربية السعودية طلب تواجد قوات متعددة الجنسية لمساعدة المملكة في الدفاع عن أراضيها أمام احتمال اجتياح مثيل لما تعرضت له الكويت .

هذا القرار أيدته جميع دول العالم ما عدى كوبا وإيران والدول العربية التسع التي تحفظت على قرار وجوب الإنسحاب من الكويت بدون قيد أو شرط .

رابعاً : اتخذ مجلس الأمن الدولي جملة من القرارات بالحظر العسكري والإقتصادي ضد العراق براً وبحراً وجواً وتحميل العراق بكل ما يترتب على احتلاله للكويت من أضرار على الممتلكات الخاصة والعامة وتعويض المتضررين نتيجة لذلك .

ولم يعترض على هذه القرارات من أعضاء مجلس الأمن الدولي إلا كوبا وتحفظت اليمن على بعضها وعارضت بعضها الآخر .

خامساً : إتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً باستخدام كافة الوسائل « القوة العسكرية » ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٩١ م ، ولم يعترض على هذا القرار إلا كوبا واليمن وامتنعت الصين عن التصويت ، هذا بالنسبة للدول الأعضاء في مجلس الأمن ، أما الدول خارج مجلس الأمن فإن القرار حظي بترحيب وقبول جميع دول العالم ما عدى الدول العربية التسع .

ولذلك فإن الدول العربية والصين وكوبا وإيران التي عارضت أو تحفظت أو امتنعت عن التصويت ، فإنها كانت معارضتها منحصرة في بعض الأمور الاجرائية فقط ، أما من حيث المبدأ فإنها أدانت الاحتلال وطالبت بعودة الشرعية الكويتية ، وبذلك فإن العالم كله وقف ضد الاحتلال العراقي لدولة لكويت ولصالح عودة الشرعية الكويتية .

هذا هو ابتـداءً موقف العـالم من قضية احتلال العراق لدولة الكويت .

أما أبعاد وخصوصيات بعض المواقف للأطراف الأكثر ارتباطاً بالأزمة فإننا نوردها في الفصول التالية :

أهمية الكويت ، ومواقف عديدة

أن أهمية الكويت لا تكمن في انها تملك استثمارات مالية هائلة ، أو انها تحتل مركز خامس دولة بترولية في العالم وثالث دولـة بترولية في الخليج وحسب ، وإنـما للكـويت أهمية اسـتراتيجية من الناحية الجغرافية والسياسية كبوابة لجزيرة العرب مما يوالي العراق وإيران مع ما لكل منهما من مطامح وتطلعات معروفة .

ولهذا فإن للكويت ثقل كبير في معادلة التوازنات الخليجية والعربية والشرق أوسطية والعالمية أيضاً .

وبالنسبة لدول الخليج فإن الكويت قطر خليجي وجزء من جزيرة العـرب ، هذا إضافة إلى أن الكويت عضو في مجلس التعاون لدول الخليج .

وعليه فإن ضم الكـويت إلى العـراق هو اعتـداء على شخصية الكـويت الإقليمية ومصـادرة لحقـوقهـا الـوطنيـة والسياسية وهي حقوق تاريخية وواقعية مشروعة ، وفي الوقت ذاتـه يعتبر الإعتداء على الكويت تجاوزاً إقليمياً ضد دول

الخليج العربي لأن حدود الكويت مع العراق هي حدود إقليمية خليجية باعتبار أن دول الخليج تجمعها وحدة جغرافية وسياسية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية متميزة .

ولذلك فإن العدوان العراقي على دولة الكويت ، كما أن أي عدوان علي أي قطر من أقطار الخليج هو عدوان على هذه الأقطار جميعاً .

وبالنسبة للدول العربية فإن الكويت عضو في جامعة الدول العربية وميثاق الجامعة يحرم أن تعتدي دولة عربية على دولة عربية أخرى ، ثم ان الكويت قدمت آلاف الملايين من الدولارات لدعم مشاريع التنمية العربية وكذلك بالنسبة لدعم دول المواجهة مع إسرائيل ، وبالإضافة إلى ذلك وإلى ما يمثله الإعتداء العراقي على الكويت من إعتداء مبدئي على مجموعة الدول الخليجية فإن دولتين عربيتين كبيرتين تعارضان أي توسع عراقي لأسباب تاريخية ثنائية بين كل منها وبين العراق .

فمصر تعارض أي بروز أو توسع عراقي حتى لا يتحول العراق إلى مركز للثقل العربي ، الذي استقطبته مصر منذ

الـدولـة الأيوبية ودولة المماليك وإبان فترة محمد على وحتى الآن ، وقد كان بين مصر الفرعونية والعراق البابلية صراع حضاري وسياسي في عالم ما قبل التاريخ لا زالت سلبياته تفعل فعلها في ثقافة القطرين وتوجهاتهما حتى الآن وإلى ما يشاء الله .

وسوريا تعارض أي بروز أو توسع عراقي حتى لا يتحول العراق إلى مركز للاستقطاب في العالم العربي من أي نوع .

فسوريا متوجسة جداً من العراق ، فبغداد كانت عاصمة العباسيين ودمشق كانت عاصمـة الأمويين وبين هؤلاء وهؤلاء ما بينهما مما هو معروف تاريخياً ، ولكل منهما أثره وتميزه في تاريخ العرب . كما أن النظامين في القطرين ينطوي كل منهما على نية تصفية النظام الآخر بأي ثمن وبأية وسيلة .

أما بالنسبة للدول الشرق أوسطية ، فهناك إسرائيل وهي تستهـدف العـراق أصـلاً لموقعـه الجغـرافي كحلقة إذا تم لاسرائيل فصمها تمزق المشرق العربي وأصبح المجال واسعاً لإقامة اسرائيل الكبرى .

وقد عملت إسرائيل وقدمت كل ما تستطيع لاغراء الشاه في إيران ومن بعده الخميني لتمزيق العراق إلى أشلاء بعضها يتبع إيران وبعضها يكون دولة كردية والبقية الباقية تحاول إسرائيل الالتفاف عليه بطريقة أو بأخرى كالذي يجري الآن في لبنان .

ولذلك فإن اسرائيل لا تطيق ان ترى العراق يقوى ويتوسع . وهناك تركيا وهي دولة أوروبية آسيوية شرق أوسطية يهمها جداً أن لا تتوسع أو تقوى الدول المجاورة لحدودها الجنوبية الشرقية (إيران) والجنوبية (العراق) والجنوبية الغربية (سوريا) وتجاوز العراق لحدوده ضد الكويت يحفز تركيا لاتخاذ موقف متحمس في مناوءة العراق لهذا السبب ولسببين آخرين :

السبب الأول : أن تركيا عضو في حلف الأطلسي ، ودول حلف الأطلسي تعارض الخطوة العراقية لأسباب سوف أفرد لها فصلاً خاصاً ، ولذلك فإن تركيا لابد أن تقف موقفاً منسجم ومتعاون مع حلفائها الأطلسيين .

السبب الثاني : أن تركيا حكمت المنطقة أكثر من أربعمائة سنة ولذلك فإنه لابد أن يكون للتاريخ تأثيره في

تشكيل المـوقف التركي في مناوءة أي محاولة توسع يقوم بها العراق أو غيره من دول المنطقة .

وهناك إيران وهي دولة خليجية إسلامية لها روابط وثيقة ولهـا مصـالح حقيقية في المنطقة كدولة إسلامية مجاورة ولها طموحات وتطلعات غير ذلك ، وهي لهذه الأسباب تعارض أية عملية توسـع ولا سيما أن هذه العملية تأتي من جانب العراق بالذات .

فإذا أضفنـا هذه العـوامـل الخليجية والعـربية والشرق أوسطية إلى العوامل العالمية التي سنوردها لاحقاً خاصة ما يتعلق منهـا بخـرق ميثـاق الأمم المتحـدة وتحدي المصالح الغربية فإن ما قام بها العراق من إجتياح لدولة الكويت يبدو أنـه صمم على افـتراضات خاطئة لأحداث انفجار مدوى استهدف الرئيس العراقي صدام حسين به جر أطراف معينة لعلها تقوم برد انفعالي متسرع ، كأن تقوم إسرائيل أو أمريكا بعمـل غير محسوب فيوجه العراق لها لطمة لم تكن متوقعة يخرج العراق بعدها من عنق الزجاجة وتحدث هزة عنيفة في النظام العالمي تغير من موازين القوي وتصير للعراق مكانة عظمي ولو على حساب التضامن العربي وقضايا العرب المصيرية .

ولكن هذا كان مجرد افتراض خاطيء ومغالطة مكشوفة .

هذا هو ما أرجحه كاستنتاج لأستقراء الأحداث وتحليل المـواقف والمعلومات المتوفرة ، وهذا هو ما يتفق مع النزعة السيكـولـوجية لشخصية صدام حسين وما عرف عنه على مدى ثلاثين سنة وما دلت عليه البيانات والتصريحات أثناء الأزمة .

لكن أمريكا يبدو أنها فهمت هذا السيناريو الافتراضى للخـطة العـراقية فتصرفت بدهاء فائق فاستبعدت العمل العسكري المتسرع وأبعدت إسرائيل عن اللعبة تماماً وبذلت جهداً مكثفاً للحصول على التأييد العالمي لموقفها في ضرورة التصدي للعراق بعد استكمال كل الاستعدادات اللازمة ، وعملت أمريكا على استصدار القرارات الدولية من مجلس الأمن ومن الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يوفر لها الغطاء الشرعي اللازم للقيام بأقسى الاجراءات ضد العراق سواء انسحب من الكويت أو لم ينسحب .

وفي الوقت الذي استمر حشد القوات متعددة الجنسيات في منـطقة الخليج وتهيئة الرأي العام في الغرب وخاصة في

الولايات المتحدة الأمريكية لتقبل قيام حرب في الخليج ضد العراق .

وفي الوقت الذي سعى الرئيس الأمريكي جورج بوش للحصول على تأييد الكونجرس الأمريكي لاستعمال القوة استخدمت الحكومة الأمريكية قدراتها التكنولوجية لرصد واستطلاع التحركات العراقية .

فقد زادت الولايات المتحدة الأمريكية من الأقمار الاصطناعية في الفضاء لتكثيف المراقبة على العراق ، وسخرت امكانياتها وإمكانيات الحلفاء الالكترونية لجمع المعلومات عن العراق ودارستها في مراكز وقيادات حلف الأطلسي وتقويمها بما يتطابق مع الواقع وبما يحدد جميع الأهداف المراد تدميرها داخل العراق أو في الجبهة في الكويت وتحديد ما يناسب هذه الأهداف من أسلحة متطورة .

ولذلك فقد كان واضحاً أن الأعداد للعمليات العسكرية من قبل القوات المشتركة ضد العراق كان يستهدف عدم الوقوع بأية أخطاء تكتيكية والقضاء على أية فرصة قد تمكن

القـادة العسكـريين العـراقيين من القيام بمفاجآت مربكة لجبهة القوات المشتركة ، بل محاولة تعطيل القدرة العراقية على الحركة أو القيام بأى عمل فعال .

وبـالحصار الشامل براً وبحراً وجواً وبكثافة الحشودات وبتفوق المعدات الهائل استطاعت القوات المشتركة ان تضع العراق في دائرة محكمة الغلق وكل ما في داخلها آخذ بالتضاءل .

موقف الشعب العراقي

الثابت والأكيد أن الشعب العراقي فوجيء باجتياح القوات العراقية للكويت مثلما فوجئت به كل الشعوب العربية وشعوب العالم الأخرى سواء بسواء .

فالقيادة العراقية لم تستشر شعبها قبل خطواتها بالاجتياح ولم تهيئه مقدماً لأستقبال هذه الخطوة ، وقد أكد الكثيرون من الأخوة الكويتيين الذين خرجوا من الكويت في بداية الأزمة ان الجنود العراقيين كانوا مذهولين ومندهشين من أقدام حكومتهم على احتلال الكويت .

لكن القيادة العراقية استطاعت بوسائل إعلامها المختلفة وبسرعة أن تقنع الشعب العراقي أن الكويت كانت جزءاً من العراق وأن الانجليز فصلوا الكويت عن العراق الوطن الأم أبان سيطرتهم الاستعمارية السابقة في المنطقة وأن معركة العراق في الكويت هي معركة كرامة بالنسبة للعراقيين .

وباستغلال الدعاية العراقية لما طغى على الإعلام المقابل من روح التحدي والتهجم والوعيد الشديد المرسل من قبل

العـديـد من الجهات تمكنت الدعاية العراقية من استثارة نخـوة وعنـاد الشعب العراقي ودفعه إلى أتون المجابهة غير المتكافئة ضد الجبهة العالمية .

وزاد الإعلام العراقي من حماس العراقيين في الإندفاع نحـو المـواجهـة التركيز على الشعارات الإسلامية والقومية بشكـل يصور أن المعركة هي معركة العرب والإسلام مع الأعداء ورافق ذلك محاولة تمويهية على صرف الأنظار عن أن السبب في ذلك هو عدوان العراق ضد الكويت .

موقف الشعب الكويتي

لقد أخطأت القيادة العراقية عندما دفعت بقواتها إلى الكويت بذريعة مفتعلة هي حماية حكومة الكويت المؤقتة التي لم تكن إلا من صنع الخيال لتبرير الاجتياح المبيت .

لقد كشف هذا الإدعاء أن خطة احتلال الكويت كانت تقوم على أساس إقامة حكومة كويتية موالية للعراق بدلاً من حكومة الكويت الشرعية .

إن هذه الخطة كانت مبنية على عدم إدراك مدى تمسك الكويتيين بكويتيتهم وشدة ولائهم لحكومتهم الشرعية .

فالكويت بالنسبة للكويتيين هي دار هجرة أكثر من كونها وطناً ، وهي حرية أكثر من كونها مواطنه ، والكويتي يفخر بهذه المميزات لكويتيته وليس بكون الكويت بلداً هو أغني بلاد في العالم بثروته البترولية نسبة إلى عدد سكانه .

والولاء الكويتي لأسرة آل الصباح هو ولاء أبوي متأصل في المجتمع الكويتي لأن صباح الأول مؤسس الأسرة الحاكمة

في الكويت ، وأول أمير كويتي ، قد تم اختياره للأمارة من بين أفراد عشيرة العتوب المهاجرين من وسط جزيرة العرب إلى الكويت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري لما يتمتع به من صفات الرئيس المثالي للعشيرة المثالية التي تأبى الضيم .

والعتوب هم فرع من فروع قبيلة عنزه المشهورة ، ومنهم تفرعت جميع الأسر الأولى التي سكنت الكويت كآل الصباح والمالك والشملان وغيرهم .

وكان الوفاء هو الطابع المميز للعلاقات على الدوام بين شعب وأمراء الكويت ، حتى المعارضة التي وجدت في بعض الفترات التاريخية في الكويت وكذلك المعارضة الدستورية التي شهدتها الساحة الكويتية منذ عهد الاستقلال عام ١٩٦١ م حتي الآن ما كان دافعها المنافسة أو الطمع وإنما كان دافعها الوفاء والإخلاص من واقع الثقة الراسخة المتبادلة بين الحاكم والمواطن في الكويت .

ولذلك وغيره رفض المعارضون الكويتيون طلب السلطات العراقية بعد احتلال الكويت تشكيل حكومة بديلة لحكومة بلادهم الشرعية ، وأكدوا انهم لا يقبلون عن

حكومتهم وأميرهم الشيخ جابر الأحمد الصباح بديلاً .

ويجيء اعلان العراق ضم الكويت بشكل نهائي إلي العراق بعد ستة أيام من دخول القوات العراقية للكويت نتيجة لإجماع الكويتيين على رفض التعاون بأي شكل من الأشكال مع قوات الإحتلال لبلادهم وإصرارهم على الولاء لأميرهم الشيخ جابر الأحمد الصباح وحكومتهم الشرعية ، والتمسك بحقوقهم الوطنية .



خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود المفدى

موقف المملكة العربية السعودية

لا شك أن الموقف الذي اتخذته حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز هو الخيار الوحيد والموقف الصحيح .

فحينما وضعت المملكة كل إمكانياتها ومعطياتها للدفاع عن نفسها وعن المنطقة ومن أجل تحرير الكويت فان ذلك هو الواجب الذي اقتضته وحتمته طبيعة الدور الذي تلعبه المملكة منذ أمد بعيد في مناصرة الأخوة العرب من المحيط إلي الخليج بغض النظر عن من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه .

فإذا كانت المملكة قد وقفت مع الكويت فليس لأن للكويت روابط خاصة بالمملكة وحسب ، وإنما لان المبدأ للمملكة هو الوقوف مع أي قطر عربي يتعرض للأعتداء أيا كان المعتدي .

من هذا المنطلق وقفت المملكة مع العراق عندما تعرض للأجتياح من قبل إيران ، ومن هذا المنطلق وقفت المملكة

مع لبنان ضد الإحتلال الإسرائيلي ولتمكين الأخوة اللبنانيين من التغلب على خلافاتهم الدامية التي طالت .

ومن هذا المنطلق وقفت المملكة مع دول المجابهة العربية ضد إسرائيل فساهمت بقواتها العسكرية في حروب العرب مع إسرائيـــل ودعمت دول المـواجهـة بآلاف المـلايين من الدولارات منذ عشرات السنين ولا زالت .

ومن هذا المنطلق كانت المملكة ولا زالت تقدم أكبر دعم مالي وسياسي للشعب الفلسطيني وحتى ينال حقوقه ويقرر مصيره .

ومن هذا المنطلق وقفت المملكة مع الشعوب المغاربية في نضالها ضد الاستعمار ودعم خططها التنموية بعد الإستقلال ومساعدتها في تجاوز الكثير من الكوارث والخلافات .

ومن هذا المنطلق وقفت المملكة مع اليمن ودول الخليج في كل المجالات السياسية والعسكرية والمالية .

أن آيادي المملكة بيضاء في كل قطر عربي ومع كل شعب عربي .

وإذا كانت القيادة العراقية قد شبت نار الفتنة في احتلالها للكويت وحشد قواتها ضد المملكة فإن هذه الفتنة قد ماتت وقبرت وذلك بفضل التوجه الحكيم لعاهل المملكة العربية السعودية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

ومعني قبر الفتنة هو أن المملكة العربية السعودية لن تتخلى عن دورها في خدمة كل الشعوب العربية ومناصرة جميع قضايا العرب بمن فيهم الشعب العراقي الشقيق ، وكل ما يمكن أن يحقق طموحاته المشروعة ويقيه الشرور .

وفيما يتعلق بموقف المملكة من قضية الكويت على وجه الخصوص فقد أوضح خادم الحرمين الشريفين انه أصبح على طرف نقيض مع الرئيس العراقي صدام حسين منذ الساعات الأولى لأجتياح القوات العراقية للكويت ، وكيف لا يكون ذلك ؟

فقد أكد خادم الحرمين الشريفين انه اتصل بصدام حسين واستفسر منه عن حقيقة ما جرى ، فبعث صدام حسين بنائبه عزت ابراهيم ليبلغ خادم الحرمين الشريفين ان

ما حدث هو أن الكويت كانت جزءاً من العراق وان العراق قام باستعادة جزء منه ولا مجال للمناقشة أو الأخذ والرد في هذا الأمر .[1]

وأوضح خادم الحرمين الشريفين أن حجم القوات العراقية الكبير التي تم بها اجتياح الكويت يوحي بأن خطوة العراق ضد الكويت ستتبعها خطوة وربما خطوات أخرى ضد دول المنطقة .

هذا إضافة إلى ان احتلال الكويت بحد ذاته يمثل عدواناً على المملكة العربية السعودية وعلى دول الخليج وعلى الشرعية العربية والدولية كما بينا من قبل .

من هنا كان لابد من الحزم في مواجهة هذا العدوان السافر فوجه خادم الحرمين الشريفين دعوته للدول العربية والإسلامية والأجنبية لأرسال قوات متعددة الجنسيات للدفاع عن المملكة .

---

(١) صرح بذلك خادم الحرمين الشريفين في العديد من المناسبات كما أكده في رسالة منه لصدام حسين نشرتها الصحف في ١ / ٧ / ١٤١١ هـ

ثم تطورت الأحداث فصارت لهذه القوات مهمة أخرى وهي تحرير الكـويت ، وهـذه المهمة نتجت عن القرارات الصادرة من مجلس الأمن الدولي خاصة القرار رقم ٦٧٨ في ٢٩ / ١١ / ١٩٩٠ م الـذي أعطى للقوات الدولية حق استخدام القوة لأخراج القوات العراقية من الكويت اذا لم تنسحب قبل الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٩١ م .

ولهـذا فإن دعـوة قوات متعـددة الجنسيات للدفاع عن المملكة العربية السعودية هو قرار سعودي بحت ، أما قرار تحرير الكويت فهو قرار دولي إتخذ بناء على مطالبة حكومة الكويت الشرعية من المجتمع الدولي بالمساعدة ، والمملكة العـربية السعودية هي المؤيد الرئيسي لهذا القرار والمشاركة الأولى به ، وهل ينتظر من المملكة أن تقف غير هذا الموقف ؟

ماذا سيقـول التـاريخ لو أن المملكـة تركت الحبل على الغارب للقيادة العراقية تحتل الكويت وتشرد أهله ؟

أليس من حق الكويت للأعتبارات السياسية والإجتماعية والجغرافية التي تربط الكويت بالمملكة ودول الخليج الأخرى

دون سائر الدول العربية أن يهب السعوديون لنجدة اخوانهم الكويتيين ؟

أليست المملكة العربية السعودية ملزمة ان تتبني الموقف العادل والواعي الذي تبنته فعلاً تجاه ما تعرضت له الكويت ؟

وهل كانت القيادة العراقية ستتوقف عند حدود دولة الكويت ولا تحاول مد هيمنتها على منطقة الخليج بأسرها ؟

ان مجرد السكوت أو التقاعس عن نصرة الكويت هو إقرار بهيمنة العراق على منطقة الخليج وهذا ليس في الصالح العربي العام إضافة إلى انه ظلم ضد قطر عربي وخطر محدق بهيبة دول الخليج وأولها المملكة .

ألم تكشف القيادة العراقية في بياناتها الرسمية انها عازمة على إعادة تخطيط الخريطة السياسية لمنطقة الخليج بما يمكنها من الإستيلاء على الثروات البترولية والتحكم بايرادات المنطقة المالية وفق المنظور الذي شرحه الرئيس صدام حسين في إحدى رسائله العلنية الموجهة إلي الرئيس المصرى حسني مبارك ؟

فإذا لم تقف المملكة ذلك الموقف الذي وقفته فعلاً ضد المخطط العراقي فهل كانت أمريكا والدول الغربية ، والدول العربية مثل مصر وسوريا ستقف مكتوفة الأيدي وتترك العراق يلتهم الكويت والخليج وتقول له مبروك عليك ؟

أليست المواثيق الدولية والتوازنات القائمة بين الدول هي التي تمنع الدول الكبيرة من التهام الدول الصغيرة ؟

ألا يعني قيام دولة كبيرة بالتهام دولة صغيرة إخلالاً بهذه المواثيق والتوازنات ؟

فلو لم تقف المملكة العربية السعودية ذلك الموقف الحازم الذي وقفته فعلاً ضد المخطط العراقي ، ألا تعتبر المملكة متواطئة مع العراق وبالتالي ينطبق عليها ما ينطبق على العراق أو تطبق عليها العراق ما طبقته على الكويت ؟

الاحتجاج ضد تواجد القوات الأجنبية في المنطقة

ان الاحتجاج ضد تواجد القوات الأجنبية في منطقة الخليج الذي صدر من القيادة العراقية وتذرعت به بعض الدول والأحزاب لتبرير تعاطفها مع العراق لم يكن أساسه الحرص على استقلال المنطقة وطهارة مقدساتها ، وإنما الهدف من هذا الاحتجاج خدمة أغراض حزبية ضيقة وطموحات اقليمية وشخصية مبيتة وجدت بالخطوة العراقية لأجتياح الكويت فرصتها المنتظرة لتحقيق غاياتها التي تحلم بها .

ان الاحتجاج هو ضد الهدف الذي وجدت هذه القوات من أجله أي ضد عودة الشرعية الكويتية وضد حماية المنطقة من الهيمنة العراقية وليس ضد تواجد هذه القوات الأجنبية بحد ذاته .

والدليل على ذلك هو أن القوات الأجنبية عندما تواجدت في منطقة الخليج العربي عام ١٩٨٧ م قبل نهاية الحرب الايرانية العراقية لحماية الملاحة في الخليج خاصة حماية

السفن الكـويتية من الهجـمات الايـرانيـة لم نسمـع أية احتجاجات لا من العراق ولا من المتعاطفين معه .

وعنـدمـا ضربت إحـدى الطائرات العراقية واحدة من الفـرقاطات الأمريكية بصاروخ اكزوسيت جو أرض وقتل سبعة وثلاثين أمريكياً عام ١٩٨٧ م أبدت الحكومة العراقية شديد أسفها للحكومة الأمريكية والتزامها بدفع تعويضات كاملة لأهالي القتلى مؤكدة أن الحادث كان خطأ لن يتكرر .

ألا يدل هذا على أن العراق تعترف بشرعية وجود القوات الأمريكية في المنطقة وحمايتها للملاحة في الخليج العربي من الإعتـداءات الإيرانية آنذاك ، فلماذا ينقلب المفهوم عندما يكون العراق هو مصدر العدوان ؟

وحتى قيام العـراق باجتيـاح الكـويت كانت توجد في منـطقـة الخليج بعض القـطع البحـرية الأمريكية ، فماذا يحصـل لو أن أمريكا رفضت مساعدة دول المنطقة لحماية استقلالها وحفظ أمنها ؟

بل ماذا يحصل لو أن أمريكا باركت للعراق اجتياحه للكويت ووافقتِ على العروض العراقية السخية لبيع البترول بأسعار مخفضة جداً ؟

هل يحتج هؤلاء المتعاطفون مع العراق على تواجد القوات الأجنبية في المنطقة ؟

من هنا يتضح لنا أن ذلك الاحتجاج هو ضد عودة الشرعية الكويتية وضد أمن واستقلال دول المنطقة والتطلع لاقتسام ثرواتها بغير وجه حق .

اذن نستطيع أن نقول ان استقلال دول المنطقة واستقرارها هو الذي تطلب وجود القوات الأجنبية ، وهذا ليس شذوذاً في قاعدة حق الشعوب والأمم في الحفاظ على سيادتها واستقرارها ومثال على هذا أن تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ضد المانيا النازية هو الذي أدى إلى استقلال أمم وشعوب أوروبا شرقها وغربها ، وكذلك أدى إلى استقلال أمم وشعوب كثيرة في آسيا وفي أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية .

موقف دول الغرب

القاعدة المسلم بها هي أن الدول لا تقف إلا حيث تقتضيها مصالحها أن تقف ، فالدول الغربية عندما وقفت مع عودة الشرعية الكويتية ومساندة دول المنطقة فلأن مصالحها تطلبت ذلك وهذا ليس باطلاً ان تتفق مصالح الغرب مع الحفاظ على استقلال الكويت .

فمن ناحية تعتبر الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبة الدور القيادي في النظام العالمي القائم الذي تمثله الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، وبما أن الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي أدانا إجتياح العراق لدولة الكويت فإن الدول الغربية عندما تتبني تنفيذ القرارات الدولية لصالح الشرعية الكويتية فإنما تحافظ على مكانتها الدولية المرموقة .

ومن ناحية أخرى فان اقتصاد الدول الغربية اقتصاد صناعي بالدرجة الأولى والبترول هو روح وعماد الإقتصاد الصناعي والدول الغربية تعتمد على بترول الخليج اعتماداً متصاعداً ولذلك فإن أول أولويات السياسة الخارجية للدول

الغـربية والدول الصناعية هو أن تبقي دول منطقة الخليج العربي مستقرة ، فذلك يضمن لهذه الدول تدفق البترول إليها .

وهناك عوامل أخرى هي في الصميم بالنسبة للمصالح الغـربية من هذه العـوامـل السـوق الخليجية للمنتجـات الصنـاعية الغربية ومنها الاستثمارات المالية المتبادلة ، ومنها عامل جديد هو أن « بيريستورويكا » غورباتشوف تنطوي على طموح سوفييتي جديد هو تحويل الاتحاد السوفييتي إلى دولـة صنـاعية عظمي يكون لها مكان الصدارة في أوروبا كأعظم دولة أوروبية ، ومكان الصدارة في آسيا كأعظم دولة آسيوية ، وهذا معناه التطلع للهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية في أوروبا وفي آسيا ولذلك فإن من حق أمريكا أن تثبت وجودها وتدافع عن مصالحها أمام مثل هذه الاحتمالات .

لهذه العوامل ولغيرها فإنه من الطبيعي أن تبدي الدول الغـربية الصنـاعية وخـاصـة الـولايات المتحدة الامريكية حساسية زائدة وحماساً ظاهراً لحفظ التوازنات الدولية القائمة وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وبصورة أخص في منطقة الخليج العربي .

أمـا كون دول الغـرب وبخـاصـة الـولايات المتحـدة الأمـريكية تحرص على حماية دولـة إسرائيل اللقيطة وتمدها بجميع أسبـاب القـوة لتكريس إحتلالها للقطر الفلسطيني واستمرار عدوانها على الأقطار العربية المجاورة فهذا الأمر يشكـل ازدواجية مقيتة في موقف الدول الغربية منذ بداية الاستيطان اليهودي لفلسطين عام ١٨٥٦ م حتى اليوم[١] وجميع الدول العربية وكذلك الدولة العثمانية من قبل تعاملت مع الدول الغربية بالرغم من هذه الازدواجية .

فبريطانيا التي جاءت لحماية الكويت من العراق في عهد عبد الكريم قاسم عام ١٩٦١ م هي التي زرعت إسرائيل في فلسـطين ومـع ذلـك كان موقفها لحماية استقلال الكويت مقبولاً من جميع العرب ما عدى المعتدي عبد الكريم قاسم آنذاك .

وقد أدى ذلك الموقف البريطاني إلى مصلحة عربية ظاهرة .

---

(١) ابتدأ الاستيطان اليهودي لفلسطين بفرمان من السلطان عبد المجيد صدر عام ١٨٥٦ بناء على نصيحة من رئيس وزراء بريطانيا « بالمرستون » ، أما وعد بلفور عام ١٩١٧ م فإنه صدر بعد أن أصبح الاستيطان اليهودى لفلسطين حقيقة واقعة .

ودول الغرب حامية اسرائيل وعمقها الاستراتيجي في كل المجـالات كانت دول صديقـة ومصـدر للكثير من السلع والاعتدة أثناء حرب الخليج بين ايران والعراق وكان لموقف هذه الدول الأثر الذي رجح كفة العراق في تلك الحرب ، وهذا كان موضع قبول العراق والأكثرية الساحقة من العرب المؤيدين للعراق آنذاك .

ولـذلـك فإنه ليس من غير المقبول أن نستعين بصديق عدونا ففي العلاقات السياسية كما في العلاقات الإجتماعية كثير من الأمثلة والشواهد التي تثبت أن طرفاً أو جهة يمكن أن يكون صديقاً لطرفين مختلفين في وقت واحد .

وقبـل أن ننقد ازدواجية الغرب وتناقضه علينا أن نفهم لماذا وكيف يقف الغرب مواقف متناقضة ؟

أن الغـرب عالم رأسـمالي مادي ، وعلماني ديمقراطي . المصلحـة هي التي تملي المـواقف على قادتـه ، والصـوت الانتخابي هو الذي يرفع ويخفض رجاله ، وبما أن صاحب القـرار في الغـرب هو زعيم منتخب يعتمد على المؤسسات المـالية في تمويل حملتـه الانتخـابية ويعتمـد على أصـوات

الناخبين في تقرير نتيجته وفي استمراره في السلطة فإنه لا يصل إلى سدة السلطة أو مركز اتخاذ القرار إلا بعد أن تطوعه المصالح وتستعبده الأصوات الانتخابية وهذه نقيصة على الغرب وليست علينا .

وبما أن مصالح الغرب الاستراتيجية مرتبطة أوثق الارتباط بالأمة العربية كمجموعة بشرية ذات وزن وتأثير كبيرين وبالوطن العربي كمصدر للبترول وللعديد من الخامات الصناعية وكسوق استهلاكية واسعة إضافة إلى المميزات الاستراتيجية فإن الغرب يهمه الحفاظ على متانة هذه الروابط ولا يستطيع أي صاحب مصلحة أو قرار في الغرب أن ينفي أهمية هذه الروابط بين الغرب والعرب أو يستبعد التعامل بها .

وبما أن الصهيونية عدوة العرب والمعتدية عليهم لها سيطرة واسعة مالياً وإعلامياً وانتخابياً في الغرب فإن كثيرين في الغرب واقعون تحت الهيمنة الصهيونية أما مخدوعين بأعلامها ، أو متمولين من مؤسساتها المالية ، أو مقيدين بأصوات اليهود الصهاينة ، وكل هذا يصب في قناة دعم اسرائيل بكل أسباب القوة وحمايتها من العرب .

ولـذلـك فإن موقف الغرب في دعـم وحماية اسرائيل هو انحـراف ناجم عن أغـراض ومصالح انتهازية لأشخاص وجماعات في الغرب ، ولابد أن ينكشف المخطط الصهيوني ويدرك الغرب خطورة مرامي اليهودية العالمية ضد العالم ، ولكن هذا لن يتحقق قبل أن يبلور العرب استراتيجية واعية تكون أساساً للتعامل بين الغرب والعرب بدون ازدواجية .

المزايـــــدات والتراجـع

على الصعيد ألسياسي فإن بين احتــلال الكــويت في ٢ / ٨ / ١٩٩٠ م ، وانـدلاع عمليات عاصفة الصحراء العسكرية ضد العراق في ١٧ / ١ / ١٩٩١ م خمسة أشهر ونصف لم يصدر من القيادة العراقية أية محاولة جدية تؤكد رغبة هذه القيادة في السلم ، أو الحرص على تجنيب العراق الكارثة التي كنا نراها بعيون عقولنا ماثلة رهيبة قبل أن تقع .

صحيح أن العراق دعا وطالب وتكلم كثيراً عن ضرورة أن يســود السلام والاستقرار المنطقة العربية خاصة منطقة الخليج ولكن ما هو هذا السـلام والاستقـرار الذي كانت تريده وتطالب به القيادة العراقية ؟

انه السلام والاستقرار الذي يسدل الستار على اجتياح العـراق للكـويت ويقوم على جثة الشرعية الكويتية وينهي وجـود الكـويت كقطر عربي مستقل ، وهذا مرفوض تماماً وباجماع عالمي كما بينا من قبل .

فقد رفضت القيادة العراقية كل القرارات والنداءات والوساطات التي طالبت بانسحاب القوات العراقية من الكويت وعودة الشرعية الكويتية ولذلك فقد كان هذا الرفض بحد ذاته مزايدة على الارادة الدولية وتصعيد للأزمة نحو اللا عودة عن الحرب .

وفي تلك الفترة أظهرت القيادة العراقية على الصعيد الإعلامي انها لا تخشى المواجهة مع القوات المشتركة التي كانت تواصل الاحتشاد في منطقة الخليج ، وركز المسئولون العراقيون وعلى رأسهم الرئيس العراقي صدام حسين على القول انهم قادرون بنسبة مليون بالمليون على سحق القوات المشتركة خاصة القوات الأمريكية التي جاءت لحتفها ، كما قالوا ، ووصفوا المعركة القادمة بأنها « المنازلة الكبرى » و« أم المعارك » وشن الرئيس العراقي ووزراؤه ووسائل اعلامه حملات دعائية واسعة ضد أمريكا والغرب وضد الكثيرين من الزعماء والساسة المحليين والعالميين ، وعزفت الدعاية العراقية على أوتار الشعارات القومية العربية والإسلامية بشكل مهيج للدهماء ومستثير لكوامن البؤساء ونزعات الانتهازيين في العالمين العربي والإسلامي .

وكان أهم ما يستوقف المراقب ويدهشه أن التهديدات التي يطلقها العراقيون وخاصة الرئيس صدام حسين نفسه ضد القوات المشتركة هو التركيز على قدرة العراق على حسم المعركة لصالحه وتمريغ هيبة أمريكا في التراب .

وموضع الأستغراب والدهشة هنا هو أن هذه التهديدات والتأكيدات لا تتفق إطلاقاً مع إمكانيات العراق المحدودة كبلد صغير لا زال في عداد الدول النامية بالنسبة لامكانيات الدول المواجهة له والتي هي أقوى دول العالم عسكرياً وصناعياً واقتصادياً .

ومما يستوقف المراقب ويدهشه أيضاً ادعاء القيادة العراقية بأنها تقود معركة الإيمان كله ضد الكفر كله . ان هذا الإدعاء لا يتفق إطلاقاً مع الطبيعة الايديولوجية لحزب البعث العربي الإشتراكي التي هي مزيج مرقع من نظريات ثورية قومية وماركسية لا تمت للأسلام بصلة .

صحيح أن البعثيين لا يطلبون من البعثي أن يخلع الإيمان بالاسلام ولا يقولون أن أيديولوجية الحزب تناقض العقيدة الإسلامية ، لكن المجتمع المثالي عندهم هو

المجتمع الإشتراكي ، والعدالة الإجتماعية لا تتحقق إلا بتطبيق الإشتراكية العلمية وما الإشتراكية العلمية إلا الإشتراكية الماركسية بحذافيرها .

ونظرية الصراع الطبقي وحتمية انتصار البعث هي التي توجب وتحدد مفهوم النضال الثوري القومي البعثي .

وهنا لا نجد أي دور للأسلام لا في الكيفية الإجتماعية المثلي ولا في الغاية من النضال عند البعثيين ، وهي غاية تختلف كل الإختلاف عن غاية الجهاد في سبيل الله .

ولذلك فإن رفع القيادة العراقية البعثية للشعارات الإسلامية يندرج ضمن المزايدات الإعلامية والمقصود بها محاولة الإخلال بتوازن الجبهة المناؤة وهذا دفع بالأزمة خطوة أخرى نحو الانفجار .

أما على الصعيد العسكري فقد حشد العراق معظم قواته في الكويت وفي جنوب العراق وأعلن التعبئة العامة ، ومرة بعد مرة استدعى جنود الاحتياط دفعة بعد دفعة ، ثم أمر بتجنيد الفتيان من سن السابعة عشر وما فوق ، وأعد

التحصينات وبث الألغام في البر والبحر وجيش الشعب العراقي كله عن طريق التطوع في الجيش الشعبي ولغم آبار البترول في الكويت وحفر الخنادق الطويلة في الجبهة وملأها بالبترول لتكون حواجز نارية وأعد ناقلات النفط الضخمة في البحر محملة بالبترول لتفجيرها اذا نشبت الحرب .

وسخر جميع الإمكانيات والموارد للمجهود العسكري ونقل القيادات العسكرية إلى مخابيء سرية محصنة تحت الأرض وبنى المزيد من الخنادق المحصنة ، وهدد بضرب آبار النفط في المملكة العربية السعودية كما هدد بضرب إسرائيل بالصواريخ وهدد بضرب المنشآت والمصالح الأمريكية في جميع أنحاء العالم .

وحجز الرعايا الغربيين الموجودين في العراق وفي الكويت ووزعهم على المنشآت الاستراتيجية داخل العراق .

وقد كانت كل هذه التحركات والاجراءات تتابع وتقوم من قبل الجبهة المناوئة للعراق .

وفي شهر ديسمبر ١٩٩٠ م بدأ أن القيادة العراقية استكملت استعداداتها للمواجهة فأرادت أن تختبر الجبهة

المناؤة هل هي مصممة على خوص الحرب أم لا . . فأمر الـرئيس العـراقي صدام حسين باطلاق الرهائن الغربيين فوجـدت القـوات المشـتركة أن أهـم العقبات في وجه شن الحـــرب ضد العـــراق قد زالت ، لكن قرار مجلس الأمن الـدولى رقم ٦٧٨ الـذي اتخـذ في ٢٩ / ١١ / ١٩٩٠ م والقاضي باستخدام القوة ضد العراق كان قد أعطى للعراق مهلة للأنسحاب لا تنتهي إلا في ١٥ / ١ / ١٩٩١ م .

وفي المقابل وعلي الصعيد السياسي وانطلاقاً من الإجماع الدولي على ادانة اجتياح العراق للكويت فإن الدول المناؤة للعراق لم تبد أي مهادنة مع العراق ، فالمفاوضات مرفوضة حتى لو أدت إلى الانسحاب من الكويت ، والانسحاب من الكـويت بشروط مرفـوضـاً حتى لو كان انسحـابـاً شاملاً كامـلاً . وكـان الخيار الـوحيـد الـذي أعـطي للعراق هو الانسحاب فوراً بدون قيد أو شرط .

ومطلب الإنسحاب الفوري بدون قيد أو شرط كان محور التحـركـات السيـاسية للجبهة المناؤة للعراق ولكل الدول المساندة لهذه الجبهة .

أما الأهداف السياسية فإنها مختلفة ، فالدول العربية والتي هي دول مجلس التعاون لدول الخليج ومصر وسوريا فإنها توخت تحرير الكويت وضمانات أمنية كافية أما بسقوط نظام صدام حسين او بضمانات دولية يركن إليها .

أما أمريكا وبريطانيا وفرنسا فانها استهدفت محاسبة العراق على ما أقدم عليه وتجريده من أسلحة الدمار الشامل وتحجيم قوته العسكرية وتطويعه في إطار التوازنات التي تطمئن إليها في المنطقة .

وبهذا فقد كان واضحاً أن الدول المناوءة للعراق كانت تهدف إلى أمرين : أما انسحاب العراق وهو صاغر أو الحرب .

وعلى الصعيد الإعلامي فإن الدول المناوءة انطلقت في اعلامها من التركيز على العديد من النقاط ، ومن هذه النقاط :

أولاً : أن العراق معتدي وانه لابد من ردع العدوان بالقوة وأن صدام حسين لا يفهم إلا بهذا الأسلوب مع

التأكيد أن صدام ارتكب من أعمال الانتهاك والسلب والقتل في الكويت ما لا يجب أن يترك بدون حساب .

ثانياً : أن نظام الحكم في العراق نظام سينهار لا محالة وأن الشعب العراقي ممثلًا برجال المعارضة المنفين مدعو لانقاذ نفسه من الهاوية التي يقوده إليها نظام صدام .

ثالثاً : أن العراق يستهدف السيطرة على المنطقة وأن هذا يشكل خطراً على الكيانات في المنطقة ويؤدي إلى فوضى شاملة بالنسبة للنظام العالمي وأن العالم كله مدعو إلى الوقوف بوجه صدام حسين شبيه هتلر الذي يمثل خطراً عالمياً .

رابعاً : التأكيد على أن القدرة العراقية العسكرية محدودة وغير فعالة في مواجهة التكنولوجيا المتقدمة للقوات المشتركة ، وجعل هذا التأكيد رسالة يومية موجهة إلى الشعب العراقي بصورة عامة وإلى أفراد الجيش العراقي بصورة خاصة للتأثير على الروح المعنوية العراقية ولايجاد تمرد ضد القيادة العراقية في صفوف الجيش بوجه خاص .

وكان من الواضح أن هذا الإعلام هو مقدمة من مقدمات الحرب الحتمية وسلاح فعال لتسهيل مهمة القوات المشتركة عندما تنشب الحرب .

أما على الصعيد العسكري فقد تواصل حشد القوات المشتركة برية وبحرية وجوية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ المنطقة وبشكلٍ لا يوحي بأن الحرب ستقع وحسب ، وإنما يوحي بأن حرباً مختلفة تماما سوف تقع .

فقد أكد الرئيس الأمريكي جورج بوش في مناسبات كثيرة انه لن يخوض حرباً « مطاطية » مع العراق كالحرب الفيتنامية - مثلاً - وإنما سيخوض حرباً الكترونية قوية خاطفة ، وبأقلِ قدر ممكن من الضحايا في صفوف القوات الأمريكية طبعاً .

وبالرغم من ذلك التصعيد وتلك الحشودات فقد ترددت بعض الآراء والأفكار التي تقول أن الحرب لن تقع وأن كل من العراق والجبهةالمناؤة له يحاول أن يضغط على الطرف الآخر ليفرض شروطه عن طريق التصعيد السياسي والاعلامي وتكثيف الحشود العسكرية .

وبعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٧٨ والقاضي باستخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل الخامس عشر من شهر يناير تأكد بما لا يقبل الجدل تصميم الجبهة المناوئة على خوض الحرب ضد العراق ما لم ينسحب من الكويت بدون قيد أو شرط .

وهنا ولأول مرة بدت تظهر من الطرف العراقي رغبة حقيقية لقبول الحل السلمي للأزمة والانسحاب بشروط مع التأكيد على أن لم يكن إلا الحرب فإن العراق مستعد لها ويرحب بها ، في حين بدت الجبهة المقابلة أكثر تصميماً على الحرب وأشد في عدم قبول أية شروط .

ففي الوقت الذي رحب فيه العراق بالوساطة التي بذلها الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعد صدور القرار رقم ٦٧٨ .

وفي الوقت الذي أدلى فيه وزير الخارجية الجزائري المرافق لرئيسه بالعديد من التصريحات عن مرونة موقف العراق وتفهم العراقيين لحقيقة الوضع والتي مفادها : ان العراق ليس عنده أية أوهام بشأن ميزان القوى ، وانه ، أي

العـراق ، مستعـد للانسحاب من الكويت لو حصل على اشارة من مجلس الأمن تؤكد الالتزام بعقد مؤتمر دولي لحل القضية الفلسـطينيـة ، ومـا لم يحصل شيء من ذلك فان العراق سوف يمضي في المواجهة حتي النهاية .

في الـوقت الـذي صدر هذا عن العـراق فإن أمـريكـا اعتذرت عن قبول استقبال الرئيس الجزائرى وكررت القول أن على العراق الإنسحاب من الكويت فوراً وبدون قيد أو شرط واستبعـاد أي ربط بين وجوب انسحاب العراق من الكويت وأية قضية أخرى ، ففشلت المساعي الجزائرية .

وجرت مباحثات سرية بين ادغار بيزاني مستشار الرئيس الفـرنسى وسفـير العراق في سويسرا برزان ابراهيم شقيق الرئيس العراقي صدام حسين من أمه ، وتوصلا إلى برنامج يتم بمقتضـاه انسحـاب العـراق من الكـويت بدون أية شروط ، وعندما لم يعد إلا الاتفاق علنياً على هذا البرنامج بين العـراق وفـرنسـا لتقـديمـه كمشروع سلام اعترضت الولايات المتحدة الأمريكية وفشل البرنامج .[١]

---

(١) نشر هذا في صحيفة الحياة اللبنانية العدد ١٠٢٤٦ بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٩١ م منسوباً للزعيم الجزائري أحمد بن بيللا .

وعندما بدأت عاصفة الصحراء بالحرب الجوية ضد العراق في السابع عشر من شهر يناير ١٩٩١ م ردد كل من الملك حسين وولى عهده الأمير الحسن قائلين :

ان العراق كان مستعداً للأنسحاب من الكويت لكن أمريكا كانت تريد اذلاله فأختار الشهادة .

من كل ما تقدم يتضح لنا ان العراق ، أو بالأصح القيادة العراقية عندما احتلت الكويت وصعدت الموقف بالمزايدات التي لم يكن لها رصيد من القوة كان في حسابها أن الولايات المتحدة الأمريكية أما ستقدم على حرب متسرعة فيوجه العراق لها لطمة غير متوقعة كما قلنا في فصل سابق ، أو أن أمريكا لن تقدم على خوض حرب بالمرة اذا تحققت من مدى التأهب والاستعداد للقوات العراقية ، وعندما تبين للقيادة العراقية أن أمريكا لن تقدم على حرب متسرعة ، ولن تعطي للعراق فرصة ضد نفسها ، وعندما تبين للعراق أنه أصبح يواجه جبهة عالمية تضم أقوى دول العالم عسكرياً وصناعياً واقتصادياً وأن لا قبل للقوات العراقية بمواجهة القوات المشتركة التي تم حشدها ، أعلنت القيادة العراقية قبولها للأنسحاب من الكويت وفق قرار مجلس الأمن الدولي رقم

٦٦٠ بمبادرة سوفييتية أهم بنودها أنها تعطي العراق مهلة ٢١ يوماً لاكمال سحب قواته من الكويت مع وقف اطلاق النار ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت هذه المبادرة ووجهت انـذاراً للعـراق بأن عليه الانسحاب الكامل من الكويت خلال ٧ أيام فقط مع وقف إطلاق النار وحددت الساعة الثانية عشر ظهراً بتوقيت الولايات المتحدة الأمريكية من يوم ٢٣ فبراير موعداً نهائياً يعلن فيه العراق قبول الانذار الأمريكي أو تبدأ الحرب البرية ضد القوات العراقية .

لم يرد العـراق على الانذار الأمريكي فانفجرت الحرب البرية قبيل فجر اليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٩١ م ، وبعـد ٤٨ ساعـة أعلن العـراق انسحابه من الكويت من جانب واحد وبدون وقف لأطلاق النار على أن يتم الانسحاب الكامل من الكويت خلال يوم واحد .

لكن أمـريكـا والقـوات المشـتركـة رفضت أن تعتـبر الإنسحاب العراقي اختيارياً ، بل إعتبرته تراجع قسري ، وقال الرئيس الأمريكي جورج بوش أن الحرب سوف تصعد وتستمر بدون هواده حتى داخل العراق إلي أن يلقي الجيش العراقي سلاحه ويستسلم .

من المفروغ منه ان إقدام القيادة العراقية على اجتياح الكويت كان خطأً فادحاً ، ولكن طالما أن الخطأ وقع فإن القيادة العراقية ما كان ينبغي لها أن تزايد وتصعد الموقف ، الأمر الذي أدي إلى تكتل جبهة عالمية قوية لا قبل للعراق بمواجهتها .

لقد فوتت القيادة العراقية العديد من الفرص للانسحاب من الكويت دون تحمل آثار الحظر الشامل الذي فرض على العراق ، ودون تحمل تكاليف التعبئة والتحصينات الباهظة ، ودون تحمل التضحيات الجسيمة في الأفراد والمعدات والتدمير الشامل الذي لحق بالمنشآت العسكرية والإقتصادية والعمرانية المختلفة في العراق .

فلو أن القيادة العراقية قبلت أول قرار صدر من مجلس الأمن الدولي بوجوب الإنسحاب من الكويت وهو القرار رقم ٦٦٠ الذي قبلته العراق بعد ستة أشهر لأستطاعت هذه القيادة أن تحفظ للعراق ازدهاره ولخرجت ببعض المميزات الاضافية ، لكن القيادة العراقية أهدرت الفرصة التي كان يمكنها أن تحفظ لها الشيء الكثير . وعندما أعلنت القيادة العراقية قبول الإنسحاب من الكويت بعد نشوب الحرب وبعد الخسائر الفادحة جداً اعتبر انسحابها هزيمة صريحة كان يمكن تداركها .

ملاحـــــــــــــظة :

لقد أبتليت الأمة العربية في هذا العصر بمرض خطير جداً أجهض الطموحات وخيب التطلعات وأفشل المساعي والجهود الدؤوبة وحطم الانجازات العربية على مستويات محلية وقومية في كثير من المجالات السياسية والإقتصادية والقضايا المصيرية .

وهذا المرض الخطير جداً هو مرض المزايدات التي بها هدرت الطاقات للأمة العربية ودمرت إمكانيات العرب الجبارة وضيعت الفرص وأرخصت هيبة العرب في أهم قضاياهم المصيرية وأمام أحقر أعدائهم المتربصين بهم كأسرائيل مثلاً .

فإذا تم طرح مشروع للتضامن والتعاون العربي ـ مثلاً ـ قال المزايدون : نريد وحدة فيدرالية .

وإذا تم طرح مشروع وحدة فيدرالية ، قال المزايدون : نريد وحدة كنفدرالية .

وإذا تم طرح مشروع وحدة كنفدرالية ، قال المزايدون : نريد وحدة اندماجية .

وهكذا . . .

فما خطى أحد من العرب خطوة إلى الامام في أي اتجاه بناء وسليم إلا وتعرض لأنتقاد المزايدين واتهامهم له بأنه منحرف ، أو عميل ، أو ان عليه أن يهرول هرولة خلف مزايداتهم وهو معصوب العينين .

ومما زاد في خطورة المزايدات في تفتيت القدرات والمعطيات العربية والحاق الهزائم بالعرب هو أن المزايدين فرضوا هيمنتهم على الساحة العربية السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتصاعد الصراع العربي الاسرائيلي في فلسطين ، حيث قابل العرب قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية بالرفض ، ودخلوا الحرب ضد اليهود بقوات مهلهلة « ضباطهم سمينون جداً وجنودهم نحيفون » على حد قول الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن .

ودخلوا حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م بدون خطة فهزموا وقامت دولة اسرائيل ، ولم تقم دولة فلسطين ، وتشتت الشعب الفلسطينى إلى مشردين لاجئين في الأقطار المجاورة ، لبنان وسوريا والاردن ومصر وأقطاراً أخرى .

وقسم من الفلسطينيين وقعوا تحت الاحتلال الإسرائيلي وقسم آخر بقي تحت الادارة الاردنية والادارة المصرية .

ولولا المزايدات العربية لقامت للفلسطينيين دولة على الجزء الأكبر من أرضهم فهذا كان أكرم لهم من التشتت وتفرق الشمل في أكثر من خمسة أقطار .

وعندما دعا الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة العرب عام ١٩٦٤ م إلى قبول قرار التقسيم بالاعتراف بدولة اسرائيل وإقامة دولة فلسطينية تصدى له المزايدون واتهموه بالخيانة والعمالة والصقوا به كل نقيصه .

وهؤلاء المزايدون إضطروا إلى التخلي عن كامل القطر الفلسطيني وأجزاء أخرى من الوطن العربي لأسرائيل في حرب حزيران عام ١٩٦٧ المعروفة بحرب الأيام الستة .

وعندما أقدم الرئيس المصري محمد أنور السادات على مبـادرته السلمية للتفاوض مع إسرائيل والوصول معها إلى حل سلمي يضمن عودة الأراضى العربية المحتلة وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى قامت ضده قيامة العرب وقطعوا العلاقات الدبلوماسية معه ونبذوه ولم تكد تمضي ثمان سنوات على مبادرته حتى تراجع المزايدون وقبلوا بمبدأ التفاوض مع اسرائيل على أساس حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، لكن إسرائيل رفضت هذا الحق ورفضت مبدأ التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ما لم تعترف المنظمة بدولة اسرائيل .

واعـترفت المنـظمـة بدولة اسرائيل لكن اسرائيل ومعها امريكا اتهمت المنظمة بالارهاب وشجبت المنظمة الارهاب علناً ، لكن اسرائيل ومعها أمريكا رفضت أي تفاوض أو تحاور مع المنظمة من واقع القناعة الاسرائيلية الأمريكية بأن المنظمة تمارس الارهاب بالرغم من تأكيدات المنظمة بأنها تنبذ الارهاب .

وليس لهذا تفسير إلا أن اسرائيل لن تقبل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني حتى لو سجدت المنظمة على أعضائها السبعة للمطالب الاسرائيلية .

هذا هو حصاد المزايدات بالنسبة للقضية الفلسطينية وكذلك فان معظم ما عاني ويعاني منه العرب من كوارث ونكسات واحباطات هو حصاد للمزايدات التي ينبغي أن ننبذها ونلتمس لامتنا مناهج واقعية مضمونة النتائج في مسيرتها السياسية ومختلف نواحي حياتها .

انـــدلاع الحـــرب
عاصفـــة الصحـــراء

في الساعة الثانية من يوم ١٧ يناير عام ١٩٩١ م اندلعت حرب تحرير الكويت تحت اسم عاصفة الصحراء ، وذلك بقيام القوات المشتركة بغارات جوية كثيفة على الأهداف العسكرية والاقتصادية والصناعية والسياسية في مختلف أنحاء العراق .

فقد انطلقت الطائرات من أكثر من خمسة عشر قاعدة أرضية وبحرية ، كما أُطلقت صواريخ كروز من السفن الأمريكية في الخليج العربي واستهدفت الضربة الأولى أكثر من مائة قاعدة عسكرية في العراق والكويت والكثير من قواعد ومنصات اطلاق الصواريخ العراقية ومراكز الاتصالات ومقرات القيادات العسكرية العراقية بما فيها وزارة الدفاع العراقية ، كما استهدفت الغارات الأولى القصر الجمهوري في مدينة بغداد .

وقد تضاربت الأنباء الأولية عن مدى ما حققته هذه الغارات في ساعاتها الأولى من نتائج .

ففي حين أعلن وزير الدفاع الأمريكي ريتشارد تشيني أن القوات المشتركة حققت عنصر المفاجأة وأن الغارات الأولى أصابت أهدافها بدقة عالية ذكرت تقارير المراسلين الأجانب من بغداد أنهم استيقظوا على أصوات الدفاعات الجوية العراقية وهي تتصدى للطائرات المغيرة ، وأفاد مراسل اذاعة لندن أنه شاهد قنبلة تسقط وتنفجر بالقرب من مركز الاتصالات في بغداد وأن هذا المركز الذي كان مستهدفاً بدأ سليماً ، وقال هذا المراسل انه شاهد منشآت مستهدفة في بغداد من نافذة غرفته في فندق الرشيد سليمة لم تصبها الغارات الجوية الأولى .[1]

وفي حين قالت مصادر القوات المشتركة أن السلاح الجوي العراقي تم تحطيمه في الضربة الأولى تبين فيما بعد ومن نفس هذه المصادر أن الطائرات العراقية لم تصب في الضربة الأولى لأنها كانت في مخابي حصينة وأن تدمير الغارات كان شديداً على المطارات ومراكز الاتصالات بما كفل تعطيل استخدام السلاح الجوي العراقي تعطيلاً كاملاً .

---

(١) إذاعة لندن في يوم ١٧ / ١ / ١٩٩١ م

وأوردت بعض التقارير أن العراق كان قد وضع أهدافاً وهمية لامتصاص الضربة الأولى .

لكن القوات المشتركة ركزت هجماتها الجوية يوماً بعد يوم وفتشت عن الأهداف المخفية باستطلاعاتها الجوية والفضائية وكثفت من الغارات الجوية مستفيدة من كل غارة سابقة لتدمير جميع الأهداف المقررة وفي جميع أنحاء العراق .

ومنذ اليوم الأول للهجوم الجوي ضد العراق حتى وقف إطلاق النار في ٢٨ / ٢ / ١٩٩١ م استمر معدل الغارات بحدود ألفين وأربعمائة طلعة يومياً ، وقد بلغ مجموع الطلعات على مدى اثنين وأربعين يومياً أكثر من مائة ألف طلعة ألقت فيها هذه الطائرات ما يزيد على مائة ألف طن من القنابل والصواريخ جو أرض .

وهذا يزيد ـ كما قال المراقبون ـ على ضعف الغارات الجوية ضد المانيا في الحرب العالمية الثانية سواء من حيث عدد الطلعات الجوية أو من حيث زنة ومفعول الصواريخ والقنابل ودقة التصويب الأمر الذي أدي إلى دمار شامل لكل

ما يتصل بالقدرة العسكرية العراقية من صناعة واتصالات ومواصلات وتمويل .

فقد تم ضرب مصادر الطاقة فأظلمت المدن وتعطلت كثير من المرافق بسبب تدمير محطات الكهرباء ، وتعرضت العراق لنقص شديد في جميع مشتقات البترول بسبب تدمير مستودعات ومعامل تكرير البترول وكذلك دمرت شبكات المياه .

ووصف المراسلون الأجانب الحالة للسكان في مدينة بغداد وفي المدن العراقية المستهدفة انها حالة بائسة بسبب البرد القارس لانعدام التدفئة وبسبب فقدان الوقود للطبخ وبسبب تعطل الصرف الصحي وتناقص بعض المواد الغذائية والطبية وانقطاع مياه الشرب .

وتم ضرب جميع المصانع التي لها علاقة بالمجهود الحربي كمصانع السلاح ومصانع الذخيرة والمصانع الكيماوية والمفاعلات النووية ومصانع الحديد والأسمنت وصوامع الغلال وكل مرفق يمكن الاستفادة منه عسكرياً بأي شكل من الأشكال .

وتم ضرب وسائل الاتصالات والمواصلات ، فدمرت الجسور والطرق وسكك الحديد والمطارات ، ومراكز الاتصال ومحطات الارسال .

وتم ضرب وتدمير جميع المنشآت والمقرات القيادية والعسكرية والسياسية والصناعية ، كالقصر الجمهوري وجميع المقرات الفرعية للرئيس العراقي صدام حسين ووزارة الدفاع وجميع فروعها ومراكز القيادات العسكرية ووزارة الحكم المحلي ووزارة الداخلية ومبني قيادة الحزب الحاكم في جميع المحافظات العراقية ووزارة الخارجية ووزارة الصناعة وكل مبنى يمكن أن يكون مقراً لادارة سياسية أو قيادة عسكرية أو انتاج صناعي .

ولذلك فقد وصفت تقارير المراقبين بأن الغارات الجوية للقوات المشتركة دمرت البنية التحتية للتنمية العراقية تدميراً كاملاً .

فبالرغم من أن الطائرات العراقية كانت في مأمن من القصف الجوي لطائرات وصواريخ القوات المشتركة بسبب المخابيء السرية الحصينة التي أعدت لمثل هذه الحالة إلا أن

القيادة العسكرية العراقية فقدت أي قدرة على المبادرة لاستخدام سلاحها الجوي في التصدي للغارات المشتركة أو القيام بغارات جوية مقابلة ، ولذلك فقد سيطرت القوات المشتركة على سماء العراق طوال أيام الحرب سيطرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب .

ومع أن لدى العراق صواريخ من طراز سام السوفييتية المضادة للطائرات وعدداً من صوارخ هوك الأمريكية أستولى عليها العراقيون في الكويت إلا أن عدد الطائرات التي اسقطت في سماء المعركة داخل العراق لم يتجاوز أربعين طائرة أي بمعدل طائرة واحدة لكل ألفين وخمسمائة طلعة ، وهذا لا يدل على وجود دفاع جوي فعال .

أشرت في فصل سابق إلى أن القيادة العراقية هددت بضرب اسرائيل وآبار البترول في المملكة العربية السعودية إذا نشبت الحرب ، وقد نفذ العراق هذا التهديد باطلاق ما يقارب واحد وثمانين صاروخاً بالستياً نصفها تقريباً وجه إلى اسرائيل والباقي وجه إلى مدينة الرياض والظهران واثنان وجها إلى البحرين وصاروخاً واحداً وجه إلى قطر .

وقد تم تفجير معظم هذه الصواريخ في الجو بواسطة الصواريخ الأمريكية المضادة من طراز باتريوت وبعضها سقط في أرض فضاء وبعضها سقط على مرافق واحياء مدنية وواحداً من هذه الصواريخ أصاب ثكنة عسكرية أمريكية بالقرب من مدينة الخبر في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

ولقد أثار اطلاق هذه الصواريخ شيئاً من الفزع في صفوف المدنيين ، أما على الصعيد العسكري فانها جاءت بنتائج عكسية تماماً لما توختة القيادة العراقية ، فاسرائيل استغلت هذه القضية للحصول على مزيد من تعاطف دول الغرب واحترامها بسبب ما سمي بـ « تعقل اسرائيل في عدم الرد على العراق » كما حصلت اسرائيل على المزيد من المساعدات المالية والعسكرية التي لم تكن تحلم بها من قبل .

والقوات المشتركة وجدت في إطلاق العراق صواريخه على الأهداف المدنية في الرياض والظهران ما يعزز تكثيف الغارات الجوية ضد العراق ، كما ان اطلاق الصواريخ على أهداف مدنية بحته مرة بعد مرة أستغل اعلامياً للزيادة من ادانة القيادة العراقية في جميع أرجاء العالم واظهار النظام العراقي بأنه نظام دموي ينبغي القضاء عليه .

وتواصل القصف الجوي للعراق في الليل والنهار وتأكد أن القوات البرية العراقية في الكويت وفي جنوب العراق أصبحت معزولة عن مراكز القيادة والامداد وانها بلا غطاء جوي ، ومع ذلك فان القيادة العراقية وعلى رأسها الرئيس صدام حسين لم تتخل عن مزايداتها ، تهدد وتتوعد مكررة قولها أن المعركة البرية إذا نشبت فان العراقيين سوف يلتحمون مع أعدائهم في « أم المعارك » التي لن يكون النصر فيها إلا للعراقيين .

وقد كان الملاحظ في الأيام التي سبقت بدء المعركة البرية أن الاعلانات العراقية كانت تحمل قدراً كبيراً من الدعوة للحرب البرية ، وصورت الدعاية العراقية أن التفوق الجوي للقوات المشتركة يقابله تفوق بري للعراق ، وأن المعركة لا تحسم بالقصف الجوي وإنما تحسم بالاشتباك البري وأن الجنود العراقيين لديهم الخبرة والشجاعة وعدالة القضية التي يفتقر إليها أفراد القوات المشتركة وإلى غير ذلك من الادعاءات التي هي أقرب للخيال وخداع النفس منها للواقع .

أما القوات المشتركة فانها طبعت خمسة وعشرين مليون منشور والقتها الطائرات على المواقع العراقية على دفعات

وتضمنت دعوة الجندي العراقي للاستسلام وانه سوف يقابل بمعاملة كريمة في الأسر . وركزت هذه المنشورات على أن القيادة العراقية أقدمت على مغامرة حمقاء وارتكبت جريمة لا تغتفر باحتلالها للكويت البلد العربي المستقل ، وعندما وضعت نفسها في جبهة مضادة للعالم كله فورطت الجيش العراقي والشعب العراقي في معركة خاسرة ومعروفة نتائجها سلفاً ، والتي لن تكون غير هزيمة العراق .

وبقدر ما أدت الدعاية العراقية إلى نتائج عكسية لابتعادها عن الواقع ، فإن دعاية القوات المشتركة جاءت بنتائج ايجابية أكثر مما كان يتوقعه قادة القوات المشتركة انفسهم .

إذ ما أن نشبت المعركة البرية في أربعة وعشرين فبراير عام ١٩٩١ م حتى بدأ الانهيار في المواقع الأمامية للجيش العراقي ، وبينما كانت اذاعة بغداد تبث البيانات والتصريحات العسكرية عن صمود القوات العراقية في مواقعها الأمامية في الجبهة وتدعي الحاق الخسائر الفادحة بالقوات المشتركة كان الجنود العراقيون يرفعون الرايات البيضاء مستسلمين للقوات المشتركة بالمئات والآلاف ، فخاب أمل القيادة العراقية العليا بخوض المعركة الملحمية

التي تباد فيها القوات المشتركة كما وعدت وتمنت ، وهنا بادرت القيادة العراقية بانسحاب تكتيكي من جانب واحد تفادياً للهزيمة الساحقة والاستسلام التام .

لقد حشد العراق أكثر من خمسمائة الف عسكري في جبهة الكويت وأكثر من مائتين وخمسين ألف عسكري في جبهة جنوب العراق منهم أكثر من مائة ألف من قوات الحرس الجمهوري الأشداء وتجهيزاتهم لا بأس بها وان كانت تقل كثيراً عن تجهيزات القوات المشتركة ، وتخطيط مواقعهم جيد جداً .

ان جيش مثل عدد هذا الجيش وحشد مثل هذا الحشد لا يمكن أن يغلب من قلة ، خاصة اذا كان في حالة دفاعية ، صحيح أن القوات العراقية تفتقر إلى الاستطلاع والغطاء الجوي ، لكن إذا كانت المعركة في ساحة محددة والقتال قتال التحام فان فائدة الاستطلاع ليست ذات أهمية قصوى والغطاء الجوي يفقد أهميته لأن الطائرات لا تستطيع أن تقصف الخطوط الأمامية وهي في حالة التحام لأن القصف الجوي في مثل هذه الحالة سيوقع خسائر متساوية بالفريقين ، أما الخطوط الخلفية فانها تستطيع ان تتخندق

من الغارات الجوية لأنها ليست في حالة قتال وبالتالي فان الحسم في المعركة يكون لما يتم في الخطوط الأمامية والهجمات المضادة المباغتة .

وكان الجيش العراقي مؤهلاً من حيث الخبرة والاحتراف ومن حيث التجهيزات والعدد للصمود في المعركة البرية ضد القوات المشتركة لبضعة أشهر لو أنه كان يقاتل عن حق ، ولو أن حجته السياسية مفحمة ، ولو ان أعلامه شرعي أو واقعي ، أو ليس « الرأي قبل شجاعة الشجعان » ؟

لكن أين الحق الذي يمكن أن يقاتل في سبيله الجندي العراقي في الكويت .

ان كثيرين من الاخوة الكويتيين الذين خرجوا من الكويت في بداية الأزمة ذكروا لنا أن الجنود والضباط العراقيين أكدوا لهم ان احتلال الكويت هو يوم أسود بالنسبة للعراقيين مثلما هو بالنسبة للكويتيين ، وانهم ، أي الجنود العراقيين أُتي بهم إلى جنوب العراق بدعوى القيام بمناورات تدريبية ، ثم زج بهم إلى الكويت بحجة أن ثورة قامت في الكويت وانهم جاؤا لضبط الأمن فيها .

اذن : الجنـدي العراقي مقتنع منذ البداية ان احتلال الكويت عدوان وأن قيادته غررت به وخدعته .

وأين الحجة السياسية ؟

لقـد أوضحت في فصلين سابقـين من هذا الكتاب ان حجج القيادة العراقية التي بررت بها احتلال الكويت باطلة وان الأسبــاب التي دفعت القيادة العــراقية إلى احتــلال الكـويت إنما هي أسباب أيديولوجية متعلقة بمنهج حزب البعث وأسباب سيكيولوجية متعلقة بشخصية صدام حسين نفســه ، وان ما أقـدمت عليه القيادة العراقية كان مغامرة طائشة وضعت العراق والكويت والقضايا العربية المصيرية في مأزق وأعادت العرب حقباً أخرى إلى الوراء .

وأين الاعلام الشرعي الواقعي من الدعايات المتناقضة التي انطلقت منها وسائل الاعلام العراقية منذ بداية احتلال الكويت ؟

فقد طفحت تصريحات المسئولين العراقيين وعلى رأسهم الرئيس العراقي صدام حسين بالتأكيدات على احراز النصر

وبالتهديدات بسحق القوات المشتركة ، وبالمزايدات التي لم ينقطع سيلها ورفع الشعارات الاسلامية والقومية التي كانت مبعث دهشة واستغراب المراقبين والمتابعين لأنها لم تكن تتفق إطلاقاً مع كل ما هو معروف عن العراق سواء فيما يتعلق بحجمه كبلد صغير وامكانياته الطبيعية والصناعية المحدودة بالنسبة لحجم امكانيات الدول المواجهة له غير المحدودة ، أو فيما بتعلق بالتوجهات البعثية الثورية الراديكالية التي لا تمت للأسلام بصلة كما بينا من قبل .

ولذلك فإننا نستطيع أن نقول ان القيادة العراقية غرقت بمزايداتها السياسية والاعلامية فلم تعد قادرة على استدراك موقفها الخاطيء عن طريق طرح ورقة الانسحاب قبل فوات الأوان ، أما في حقيبة الأمين العام للأمم المتحدة عندما زار بغداد قبل نهاية مهلة مجلس الأمن الدولي المحدد لها الخامس عشر من شهر يناير ١٩٩١ م ليتم وضع برنامج غير مهين للانسحاب من قبل مجلس الأمن ، أوطرح ورقة الانسحاب على طاولة المباحثات التي عقدت في جنيف بين وزيرى خارجية أمريكا والعراق في العاشر من شهر يناير قبل بدء العمليات العسكرية لعاصفة الصحراء بسبعة أيام ليكون ذلك مفتاحاً للمفاوضات بين الولايات المتحدة الأمريكية

والعـراق توصـل إلى اتفاق على ترتيبات للأنسحاب يكون أجدى من الحرب وأهوالها ودمارها .

ومن هنـا فانـه لم يكن من الرأى الصائب السليم بأي شكل من الأشكال ان يقدم العراق على خوض معركة ضد عشر دول فيها ثلاث دول عظمي ، بالاضافة إلى أكثر من عشرين دولـة أخـرى تقـف خلف هذه الـدول العشر بامكانيات هائلة من الدعم بكل ما يلزم للحرب .

وقـد استمـرت القيادة العراقية ترتكب الخطأ إثر الخطأ وتحـاول أن تحافظ على ما لا يمكن الاحتفـاظ به فدفعت بنفسها من حيث تدري أو لا تدري إلى هاوية الهزيمة .

لقـد كان الانسحـاب هو الخيار الـوحيد والحل الأمثل للعراق بعد أن تورط باحتلاله للكويت ، وهذا هو ما ركز عليه وأكـده خادم الحـرمـين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على مدى ستة أشهر وفي جميع المناسبات ومن موقع الادراك الكامل لما سيحدث ، وبدافع الحرص على سلامة العراق ذاته مثلما هو الحرص على سلامة الكويت والمملكة العربية السعودية وكل العرب .

لكن الرئيس العراقي صدام حسين لم يلتفت إلى ذلك النصح المخلص فدفع بالجيش العراقي وبالصناعات العسكرية العراقية وبالتنمية في العراق إلى أتون الحرب المدمرة .

إن ما بناه العراق مما دمرته الحرب كان على حساب رفاه الشعب العراقي وبفضل المعونات التي قدمتها بعض الدول الخليجية وبالذات المملكة العربية السعودية والكويت اثناء الحرب مع إيران وهذا بحد ذاته مأساة أخرى بالنسبة للعرب تضاف إلى مأساة العرب في ما تعرض له شعب وجيش العراق وما تعرض له شعب الكويت من ويلات وما تعرضت له الكويت من تخريب ودمار .

ويزيد من عمق هذه المأسي في نفوس العرب ان القيادة العراقية اختارت من ألف طريق كلها تؤدي إلى الصواب والنجاة طريقاً واحداً يؤدي إلى الكارثة .

وإذا كان لنا أن نستثني أمراً واحداً يمكن ان يسجل لصالح القيادة العراقية في هذه الحرب فهو استدراكها لضرورة الانسحاب من الكويت بعد بدء المعركة البرية بـ ٤٨ ساعة .

فهذا الانسحاب وأن كان متأخر جداً جداً إلا انه منع من تفاقم الهزيمة بالحيلولة دون زيادة عدد الضحايا في الجبهة ، وبعدم توسع الاحتلال داخل العراق وبابعاد شبح استخدام الأسلحة الكيماوية والنووية وباختصار الشروط التي فرضت على العراق .

خـطـط المعركــة البريــة

لعبت التكنولوجيا العسكرية المتقدمة والعقلية السياسية الواقعية الواعية الدور الأول في حسم الحرب لصالح القوات المشتركة بشكل فاق كل ما كان متوقعاً .

ففي حين خططت القيادة العسكـرية العراقية للمعركة على أسس افـتراضية تخمينيـة ، كما سنرى فيما بعد ، فإن القيادة العسكرية للقوات المشتركة بنت خططها على أسس علمية ميدانية لا مجال للافتراض أو التخمين فيها .

وفي حين كانت القيادة السيـاسيـة العـراقية تزايـد بالشعـارات وتتحـدى بالأوهـام والمغـالطات فان القيادات السيـاسيـة للقوات المشتركة أكدت ان معركتها هي معركة الشرعية الدولية البعيدة عن الأوهام والمغالطات .

ففي ٢٥ / ٧ / ١٩٩٠ م قبل اجتياح القوات العراقية لدولـة الكـويت بأسبوع تمت مقابلة السفيرة الأمريكية في بغداد ابريل غلاسبي مع الرئيس العراقي صدام حسين ، وفي هذه المقابلة استفسرت السفيرة من الرئيس العراقي عن

الغاية من نشر قوات عراقية على طول الحدود مع الكويت ، وقالت : ان واشنطن طلبت منها من موقع الصداقة لا التحدي الاستفسار عن معنى هذا التجمع العسكري .

وأجاب الرئيس العراقي على هذا الاستفسار بطريقة جس النبض الدبلوماسية الرمزية بما مفاده : انه إذا فشلت المفاوضات مع الكويت فإنه ربما يقدم على عملية اجتياح عسكري من نوع ما .

وعندما أكدت السفيرة ان الولايات المتحدة الامريكية ستقف مع أصدقائها ، رد الرئيس العراقي عليها قائلاً :

« أنا أطلعت على التصريحات الأمريكية التي تتحدث عن الأصدقاء في المنطقة ، وأقول ان من حق كل جهة ان تختار أصدقائها ، لا نعترض على هذا ، لكن أنتم تعرفون انكم لستم الذين حميتم أصدقاءكم خلال الحرب مع إيران ، وأنا أجزم لو ان الايرانيين اندفعوا في المنطقة لما استطاعت الجيوش الأمريكية ان تصدهم أو توقفهم إلا باستخدام القنابل النووية ، هذه ليست نظرة استصغار لكم ، وإنما مرتبطة بطبيعة الجغرافيا وبطبيعة المجتمع

الأمريكي التي تجعله لا يستطيع أن يتحمل في معركة واحدة عشرة آلاف قتيل » .

لم تحتج الولايات المتحدة الأمريكية عندما لمح الرئيس العراقي ان في نيته الاقدام على عمل عسكري ما ضد الكويت فافترض صدام حسين ان عدم الاحتجاج المبكر على اشاراته الدبلوماسية هو بمثابة الضوء الأخضر له ليكتسح الكويت ، وقد فعل .

وهنا نقف على حقيقة مرة ، وهي عدم تقيد الرئيس صدام حسين بأية اعتبارات أو مثل لا على صعيد العلاقات الثنائية التي تربط العراق بالكويت وهي علاقات أخوة حميمة بحكم الجوار والعروبة والاسلام ، ولا على صعيد العلاقات العربية والدولية التي تمنع أن تعتدي دولة على سيادة دولة أخري .

المهم ، كما تظهر هذه المقابلة ، عند الرئيس صدام حسين هو موقف الولايات المتحدة الأمريكية كيف سيكون . وعندما بدأ له أن أمريكا قد تقف بين بين مضى في خطته الطائشة قدماً .

وبعد أربعة أيام من اجتياح القوات العراقية للكويت استقبل الرئيس العراقي القائم بالأعمال الأمريكي جوزيف ويلسون الذي أكد لصدام بالحرف الواحد « ان من المفيد استئناف الحوار لأن هذه هي الطريقة المثلى لازالة التوتر » .

وهنا تعزز الافتراض لدى الرئيس صدام حسين بأن أمريكا سوف تحسب ألف حساب قبل ان تقدم على حرب مع العراق تخسر في معركة واحدة منها عشرة آلاف قتيل .

وجعلت القيادة العراقية هذا الافتراض محوراً لمجموعة من الافتراضات الخاطئة التي قامت عليها خططها السياسية والعسكرية ، ومن هذه الافتراضات :

أولاً : أن الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة خاصة وفي الغرب بصورة عامة سوف يعارض الحرب ضد العراق خاصة عندما تصل آلاف النعوش من جبهة القتال .

ثانياً : ان المنطقة العربية بصورة خاصة والعالم الإسلامي بصورة عامة سوف يشهدان تفجراً عارماً ضد الجبهة المناوئة

للعراق ، وأن أنظمة كثيرة سوف تسقط وان المصالح الغربية سوف تهاجم وبالتالي فان العراق لن يكون إلا طليعة لجبهة عريضة من المستحيل أن تقهر .

ثالثاً : ان الجندي الأمريكي سوف يتيه في صحراء العرب وأن الطائرات المتقدمة سوف تتساقط كالذباب عندما تتصدى لها التكنولوجيا العراقية المتقدمة !!

رابعاً : أن أسعار البترول سوف ترتفع إلى ما فوق ستين دولاراً للبرميل الواحد وهذا سيكون واحداً من العوامل التي تؤدي إلى تفكك التحالف ضد العراق .

خامساً : أن أمريكا أو القوات المشتركة قد تقدم على عملية متسرعة فيوجه لها العراق لطمة غير متوقعة وينتصر العراق .

وهناك مجموعة من المغالطات جعلها الرئيس العراقي قضية أو قضايا يبرر بها التصدي للقوات المشتركة .

المغالطة الأولى : تصوير تواجد القوات الأجنبية وخاصة القوات الأمريكية في المنطقة على انه غزو استعماري وعدوان على العرب وعلى مقدساتهم متجاهلاً أن تواجد هذه القوات هو لتحـريـر بعض العـرب ، أي الكـويت من بعضهم الآخر ، العراق .

المغالطة الثانية : ان تحرير فلسطين يتطلب الوقوف مع العـراق في الخليج وان المـوقف العـراقي بكل تفاصيله في الخليج هو الخـطوة الصحيحـة نحو القدس ، في حين أن الصحيح هو ان اجتياح الكويت الذي انطلقت منه الثورة الفلسطينية إنما يكون خطوة ارتدادية بالنسبة لتحرير فلسطين .

المغـالطة الثالثة : ان المقاتل العراقي سوف يقاتل عن اثنـين لأنه صاحب الخبرة الميدانية ، ولأن المقاتل العراقي يقاتل عن حق وعلى أرضه ، والصواب هو ان عكس هذه الادعاءات هو الصحيح خاصة فيما يتعلق بالحق .

صحيح أن المؤسسـة العسكرية العراقية تمتعت ببعض المزايا الممتازة بالنسبة لدول العالم الثالث بسبب ان العراق في

الخمسينيات كانت إحدى الدول الأعضاء في حلف بغداد العسكري « السنتو » الذي أعده الغرب كجبهة جنوبية ضد الاتحاد السوفييتي فاشتركت بريطانيا في برامجه التدريبية والتسليحية وأشرفت عليه الولايات المتحدة الأمريكية فكانت الفرق الأربع التي تمثل قوام الجيش العراقي قبل ثورة ١٩٥٨ م على مستوى أرقي جيوش العالم .

لكن الجيش العراقي فقد كثيراً من مزاياه الممتازة بعد ثورة ١٩٥٨ م ، فقد عمد الرئيس العراقي الاسبق عبد الكريم قاسم إلى تغيير السلاح الغربي للجيش العراقي بكامله بسلاح سوفييتي ومع السلاح جاء الخبراء السوفييت وبالتالي أدخلت النظم السوفييتية على التدريب ففقد الجيش العراقي الميزة التي تأسس عليها كجيش من الدرجة الأولي .

ومن عام ١٩٥٨ م حتى ١٩٧٩ م شهدت قيادات الجيش العراقي تصفيات إثر تصفيات ففقد الجيش العراقي عشرات الضباط من كبار الرتب ، وأفضل الكفاءات العسكرية ، والذين لم تتم تصفيتهم استهلكتهم السياسة عبر الانقلابات المتتالية .

ومع أن عدد الجبش العراقي تضاعف أكثر من عشر مرات على مدى ثلاثين سنة إلا أن ذلك تم على حساب النوعية العسكرية ، ومع أن العراق خاض حرباً إستمرت ثمان سنوات مع إيران إلا أن الخبرة القتالية المكتسبة في تلك الحرب هي من مستوى خبرات جيوش العالم الثالث ، فالعمليات الحربية البرية التي دارت بين الفريقين كانت من نوع الهجمات الاختراقية أو التصادمية الوحشية المباشرة التي عكست قسوة قلوب القادة العراقيين والايرانيين ، ولم تعكس المعية عقولهم والتي اعتمدت على كثافة الحشد وقوة التصميم على الاندفاع بمزيد من التضحيات البشرية في الهجمات المباغتة أو المضادة أو الثبات في المواقع وعدم التراجع .

وهذا أساسه ارتفاع الروح المعنوية للمقاتل أو الخوف من التراجع ، وهذا الأسلوب في الحرب خال تماماً من الابداع في الخطط العسكرية أو الفن العسكري في تنفيذ العمليات الميدانية .

فالخميني كان يسوق الايرانيين في ما عرف بالموجات البشرية مدعياً أن الموت على الخطوط الأمامية ضد العراق هو

المعبر إلى الجنة . وصدام حسين كان يحشر العراقيين ويمنعهم من التقهقر إلى الخلف باعدام المتراجعين .

ولذلك فإنه لم تشهد الحرب الايرانية العراقية خطط التفاف قتالية هجومية على نطاق كبير كخطة القوات المشتركة ضد القوات العراقية في معركة تحرير الكويت ، أو خدع تكتيكية كتلك التي اشتهر بها قادة عسكريون بارزون من أمثال القائد الألماني روميل الملقب بثعلب الصحراء ، أو منافسه الجنرال منتجمري بطل معركة العلمين .

وعموماً فانه لم يكن هناك تكافؤ في الأسلحة والتشكيلات العسكرية في الحرب الايرانية العراقية يسمح لأي من الفريقين بتكوين خبرة قتالية متكاملة على مستوى جميع صفوف الأسلحة ومختلف التشكيلات العسكرية .

فالسلاح الجوي العراقي لم يكن لايران ما ينافسه او يقارعه وبالتالي فانه لم يتح للطيارين العراقيين أن يكتسبوا خبرة قتالية في معارك جوية تشتبك فيها الطائرات بالطائرات .

وإيران كانت تعتمد في هجماتها البرية على فرق انتحارية من المشاة في حين كانت القوات العراقية تعتمد على قوة نيران الدروع والقصف الجوي ، وفي المرات القليلة ـ كمعركة تحرير الفاو ـ التي أضطر العراقيون فيها إلى اقتحامات بالمشاة كانت لديهم تغطية كثيفة من النيران بالطائرات والدروع المتحركة والمروحيات والمدفعية الثابتة التي ليس للأيرانيين ما يكافئها .

والسلاح البحري والتشكيلات البحرية الايرانية كانت مسيطرة في البحر بدون أية منافسة عراقية بحرية ، لأن القوة البحرية العراقية صغيرة جداً وليست شيئاً يذكر في أي حساب جدي للتوازنات العسكرية .

وقبل نهاية الحرب الايرانية العراقية برزت القوة الصاروخية العراقية كعامل إضافي رجح كفة الصراع لصالح العراق .

وعلى هذا نستطيع أن نقول أن الجيش العراقي تفوق على الجيش الايرانى في سلاح الطيران وسلاح الهندسة والقوة الصاروخية وقوة الدروع ، وهذه كانت أسباباً في انهيار

الروح المعنوية لمشاة الجيش الايراني وبروز مشاة الحرس الجمهوري العراقي خاصة بعد معركة تحرير الفاو .

لكن هذا التفوق إنما هو بقياسات جيوش من الدرجة الثانية تدريباً وتسليحاً وأساليب قتال ، أما جيوش الدول المتقدمة كجيوش دول حلف وارسو وحلف الأطلسي ، أو حتى الجيش الاسرائيلي فان أرقي ما وصل إليه الجيش العراقي في أي صنف من أسلحته او تشكيل من تشكيلاته لم يصل إلا إلى الحد الأدني من مستويات هذه الجيوش المتقدمة .

ان ٥٠ ٪ من أسلحة الجيش العراقي لم تعد ذات فعالية بالنسبة للجيوش المتقدمة ، كما ان ٥٠ ٪ من أسلحة الجيوش المتقدمة ليس لدى الجيش العراقي ما يقابلها أو يستطيع الرد على فعالياتها .

ولهذا وغيره فان المعركة كانت محسومة لصالح القوات المشتركة قبل أن تبدأ ، إلا أن كثيرين من المراقبين العسكريين بمن فيهم قادة القوات المشتركة كانوا يتوقعون مقاومة عراقية تستمر لمدة بضعة أشهر .

وهذا ممكن جداً برغم الفرق الكبير بين مستوى الجيش العـراقي والقـوات المشتركة وبين امكانيات دول التحالف وامكـانيات العـراق ، أما بتبني أساليب قتالية مختلفة ، أو بشن هجـمات انتحـارية ، أو بالقتـال المستميت خطوة خطوة ، أو بمفـاجـأة العـالم بسلاح جديد فتاك ، أو بأية حركات غير محسوبة .

لكن شيء من هذا لم يحدث وثبت أن العقلية العسكرية العراقية بنت خططها واشترطت نتائج المعركة على حدوث تلك الافتراضات التي أشرنا إليها في البداية والتي لم تحدث ، بل حدث عكسها .

وثبت أن العقلية العسكرية العراقية كانت أسيرة مفاهيم عسكـرية سقيمة جداً ، فقد غابت عن الفكر العسكري العراقي فكرة أن المعارك العسكرية الحاسمة في التاريخ قديماً وحديثاً لم يكسبها القادة المتخندقون .

وفـات القيادة العسكـرية العـراقية ان الافـراط في بناء التحصينات تكون له نتائج عكسية على فعاليات ومعنويات أفـراد الجيش المتحصن وأبـرز هذه النتـائـج تحطم الروح

المعنوية للمتحصنين فبقدر ما تكون التحصينات عامل اعاقة للمهاجمين فانها تكون باعث خوف للمتحصنين .

ولدينا مثال قريب على أن قوة التحصينات كانت أول عوامل الهزيمة للقوات الإسرائيلية في حرب ١٩٧٣ م على الضفة الشرقية لقناة السويس .

فقد بني الاسرائيليون خط بارليف بموازاة الكثبان الرملية العالية الممتدة من السويس حتى البحر الأبيض المتوسط بموازاة القناة المائية العميقة ، فكانت هذه الحواجز الثلاثة هي أقوى خط دفاعي في التاريخ .

وسمي هذا الخط الدفاعي في حينه بالمستحيلات الثلاثة الحاجز المائي ، والحاجز الترابي ، والحاجز الخرساني ، وقالوا في حينه أن هذه الحواجز الثلاثة يستحيل عبورها على أية قوة مهاجمة وركن الاسرائيليون إلى قوة هذا الخط الدفاعي الحصين :

يقول الله تعالي في سورة الحشر الآية الثانية ﴿ وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ .

ولـذلـك فانه عندما فاجأ الجيش المصري الاسرائيليين بعبـور قنـاة السـويس واجتـاز كثبـانها الرملية العالية وقام باقتحـام تحصينـات خط بارليف خرج الجنـود اليهـود من دشمهم مذعورين هاربين كالأرانب لا يلوون على شيء .

لقـد كان من المستحيـل على جيش وضع تحت التراب بعمق خمسة عشر متراً وقائده يقبع في مخبأ محصن بعمق أربعة أدوار تحت الأرض وعـلى بعـد ألف كيلو متر من الخـطوط الأمامية وفي وقت دمرت فيه مراكز الاتصالات . لقد كان من المستحيل أن يكون هذا الجيش جيشاً منتصراً وقائده قائداً مظفراً .

وفي حين تخبطت القيادة العراقية بافتراضاتها ومغالطاتها وأفرطت في شعاراتها حتي أغرقتها الافتراضات والمغالطات والشعارات فإن قيادة القوات المشتركة دأبت على التحضير للمعركة باعداد كل الوسائل واستكمال جميع الجوانب ليس لكسب المعركة ضد القوات العراقية ، بل لكسب المعركة بأقل قدر ممكن من التضحيات .

فقد سبق المعركة البرية التي بدأت في ٢٤ / ٢ / ١٩٩١ م مائة وسبعون يوماً أمضتها القوات المشتركة في الحشد والتدريب واجراء المناورات بما يلائم ظروف الصحراء جنباً إلى جنب مع عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات ودراستها وتحليلها وتقويم الحركات والمرامي العراقية .

وسبق المعركة البرية ثمانية وثلاثين يوماً من الغارات الجوية المتواصلة ضد الأهداف المنتخبة في جميع انحاء العراق وميدان المعركة على نحو ما بينا في الفصل السابق .

في البـداية قامت القـوات المشـتركـة بحركات تضليلية استهدفت تثبيت القوات العراقية في مواقعها وإيهام القيادة العـراقية بأن القـوات المشتركة سوف تقوم بعمليات انزال بحري على شواطيء الكويت في حين كان الهدف هو القيام بعملية التفاف كبير على ثلاثة محاور تخترق الأراضي العراقية لعـزل الحـرس الجمهوري وضربه من الخلف والتمركز في جنوب العراق والأطباق على القوات العراقية في الكويت من ثلاثة محاور أخرى ، عبر حدود الكويت مع المملكة العربية السعودية .

ويصف التمهيد لهذه العملية الجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات الأمريكية في عملية عاصفة الصحراء فيقول :

« كنا نعلم انه لم يكن لدى العراق إلا امكانات استطلاع محدودة جداً ، ولهـذا حين ضربنـا سلاحـه الجـوي لنيات وأغراض عديدة ضربنا معه قدرته على مشاهدة ما نفعل على الأرض هنا في المملكة العربية السعودية ، وحين عرفنا انه لم يعد يرانا حركنا القوات على نطاق واسع وعلى امتداد الميدان انطلاقاً نحو الغرب وأقصى الغرب » .

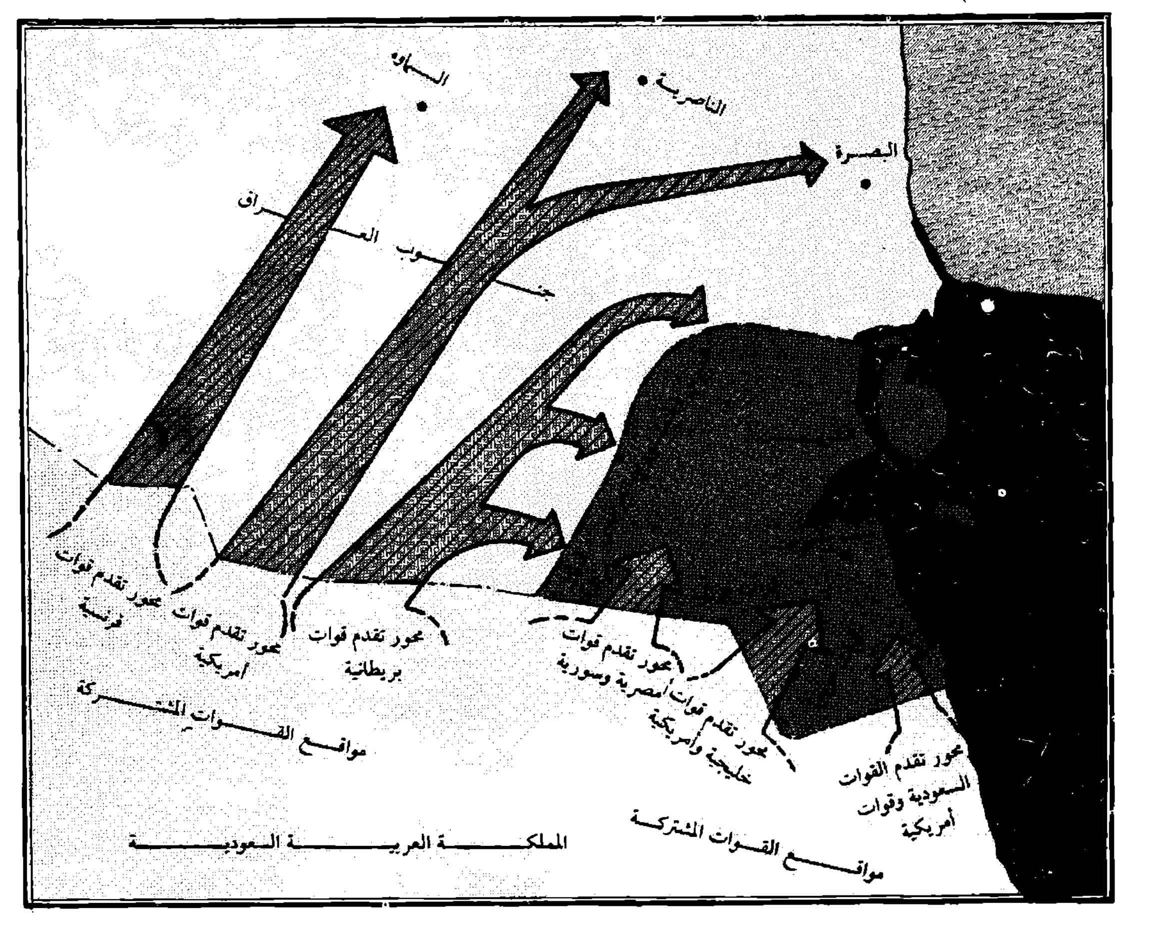
وقـــال :

« حين بدأت الحملة الـبرية لم يعـد العـراق قادراً على التحرك لمواجهة هذه الخطوة حتى لو كان يعلم اننا قمنا بها[1] » .

والـرسم البياني التـالي يوضـح اتجـاه حركة هجوم القوات المشتركة على القوات العراقية في الكويت وعلى جنوب العراق .

---

(١) صحيفة الحياة ١ / ٣ / ١٩٩١ م العدد ١٠٢٥٣



رسم بياني للمعركة البرية



الفريق الركن خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة مع عدد من القادة الميدانيين

كفاءة المقاتلين السعوديين

أثبت المقاتلون السعوديون كفاءة ممتازة وغير متوقعة من خلال مشاركتهم الفعالة في عمليات حرب عاصفة الصحراء من أجل تحرير الكويت .

ففي كل يوم من أيام تلك الحرب كانت البيانات الرسمية وتقارير المراسلين الصحافيين وتصريحات الناطقين والمعلقين العسكريين لا تخلو من الاشادة بالأداء العسكري السعودي المتميز .

شاركت القوات الجوية السعودية من أول لحظة في العمليات الجوية لعاصفة الصحراء وبلغ مجموع الطلعات للقوات الجوية السعودية ستة آلاف وسبعمائة طلعة من ما مجموعه مائة وسبعة آلاف طلعة للقوات المشتركة وكانت أكثر عملية جوية شدت انتباه واعجاب المراقبين والمتابعين عندما اشتبكت طائرتان سعوديتان مع طائرتين عراقيتين في شمال الخليج وتمكن أحد الطيارين السعوديين من اسقاط الطائرتين العراقيتين معاً .

وكـان أول اشتبـاك بري بين القوات المشتركة والقوات العـراقية هو ما حدث ما بين ٣٠ يناير إلى ٢ فبراير عندما تمكنت قوات عراقية من التسلل إلى مدينة الخفجي فتمكنت القوات السعودية من الجيش والحرس الوطني ومعها قوات قطرية من تحرير مدينـة الخفجي واجبار القوة المهاجمة على الاستسلام بعد معركة استمرت ساعتين فقط .

ويصف لنـا قائـد عملية تحرير الخفجي اللواء سلطان العيدي كيفية هذه العملية بقوله :

« استـطاعت القـوات السعـودية بمختلف تشكيـلاتها والقوات القطرية أن تحاصر القوات العراقية وتعزلها بشكل تام داخل الخفجي في عملية سهلة انجزت في وقت وجيز اذ لم تستمـر المعـركة أكثر من ساعتين ، بعد أن قطعت على القـوات المعتـدية طريق الخفجي من الكـويت في المرحلة الأولى ، وفي المـرحلة الثـانية تقـدمت القـوات السعـودية وهجمت على دبـابـات القوات المعتدية ومنعتها من فرصة التمـركـز وقـامت القوات السعودية بهجوم بري في الوسط بحيث لم تجد القوات المعتدية مخرجاً فبدأت بالاستسلام[1] »

---

(١) مجلة المجلة العدد ٥٧٥ في ١٣/٢/ ١٩٩١ م

ان عملية الخفجي هي أول نتيجة من نتائج الحرب البرية أكدت لنا عجز القوات العراقية عن القيام بالتحامات برية رئيسية .

ففي البداية انقسمت آراء المعلقين والمحللين العسكريين حول الهدف العراقي من هذه العملية بالنسبة للقيادة العسكرية العراقية ، فمنهم من قال : انها عملية استطلاع وجس نبض . ومنهم من قال : انها اختراق وتمركز .

لكن ثبت في النهاية ومن واقع البيان الرسمي للقيادة العراقية الصادر في ٣١ / ١ / ١٩٩١ م أن المقصود من تلك العملية هو احتلال الخفجي واتخاذه نقطة تمركز متقدمة ومحاولة التعجيل بالمعركة البرية بين القوات المشتركة والقوات العراقية ، غير ان القيادة العراقية عجزت عن دعم قواتها في الخفجي فمنيت بأول فشل في أول معركة برية رئيسية .

وعلق الفريق الركن خالدٍ بن سلطان قائد القوات المشتركة على معركة الخفجي قائلاً :

« انها مواجهة تاريخية على اعتبارها أول معركة برية في حرب الخليج وأول تجربة ميدانية بهذا الحجم تخوضها

القوات السعودية ، وقال : أن القوات السعودية استوعبت الدرس ونحن مصممون على جعل القوات المسلحة من أكبر وأفضل القوات ، وحسب توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز سنعمل على جعل الجيش السعودي أكبر قوة تخدم السلام في المنطقة[١] »

وقد نشرت مجلة المجلة في عددها ٥٧٥ وتاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٩١ م آراء للعديد من القادة العسكريين والعديد من المراقبين والمراسلين نقتطف منها الآتي :

يقول الجنرال تشارلز هورنر :

« أن الأجهزة التي وضعتها القوات السعودية والتي تبلغ قيمتها بلايين الدولارات هي ضمان مهم لتحرير الكويت » .

ويقول الجنرال مايكل دوقان :

« لقد أدرك السعوديون أهمية وجود منشآت قوية

---

(١) المصدر السابق

لاحتمالات المستقبل ، لذلك بنوا العديد من المنشآت العسكرية والقواعد الجوية التي تتضمن مزودات وقود ومخابيء محصنة للطائرات » .

ويمتدح الجنرال دوقان القدرة التدريبية للجنود السعوديين وتفهمهم « لادارة الأجهزة العسكرية المعقدة التي اشتروها في عقد الثمانينات وزودوا بها قواتهم » .

ويقول العقيد جون نوبل :

« اعتقد ان النيران السعودية أدهشت القوات العراقية إلى حد كبير » .

ويقول الكولونيل جاك بيترى :

« لقد كان الأداء السعودي فعالاً وممتازاً » .

ويقول الكوماندر شيب بيك :

« لم أكن معهم أثناء القتال ولم أرهم على الطبيعة إلا أن ما قرأته في الصحف يؤكد فعالية هذه القوات » .

وأكد مراسل شبكة التليفزيون الأمريكية « سي ، ان ، ان » شارلز جاكو : ان القوات السعودية أثبتت كفاءتها وان الحرب ستوفر لها الخبرة اللازمة مؤكداً ان القوات السعودية ستلعب دوراً هاماً في المنطقة .

وعندما نشبت المعركة البرية في عمليات عاصفة الصحراء التي حسمت الحرب بشكل نهائي لصالح القوات المشتركة كانت القوات البرية السعودية في طليعة القوات المشتركة على محورين من الثلاثة محاور التي اخترقت الخطوط الدفاعية للقوات العراقية على طول الحدود السعودية الكويتية ، وقد أبرزت القوات السعودية كفاءة فائقة وصفها الجنرال نورمان شوارزكوف قائد القوات الامريكية بقوله :

« وفي الرابعة صباح الأحد الرابع والعشرين من الشهر الفائت « فبراير » بدأت السفن الحربية الحليفة تطلق نيران مدافعها بكثافة على مواقع القوات العراقية على الساحل الكويتي لايهامها بقرب وقوع هجوم برمائي هناك ، بينما تحركت قوة ميكانيكية سعودية شمالاً في اتجاه المواقع العراقية الحصينة على الحدود مع الكويت .

وفي الـوقت ذاتـه وعلى طول الحدود السعودية الكويتية تحركت فرقتان لمشاة البحرية الأمريكية بدعم مدرع وفرقة سورية وفرقتان مصريتان وكلها من سلاح المدرعات اضافة إلى تشكيلات عسكرية من الدول الاخرى المتحالفة ضد العـراق بمن فيهـا قطر والبحـرين وعمان شمالاً إلى داخل الكـويت عابرة حقول الألغام والأسلاك الشائكة والخنادق المملوءة بالنفط والتحصينات المنيعة وفاق نجاح هذه العملية التـوقعـات كلها واستسلم من جرائها أكبر عدد من الجنود العراقيين منذ بدء العمليات العسكرية وحتي ذلك الحين . »

وأشـاد شوارزكـوف بأداء الجنـود السعوديين في العملية واصفاً ذلك بقوله :

« قبـل كل شيء أبلي السعوديون على الساحل الشرقي بلاءً حسناً فقد اجتازوا نظاماً من الحواجز الوعرة جداً جداً وتخـطوا هذه الحـواجـز بكفاءة عالية جداً لقد تحركوا بهمة وعزيمة وتابعوا هجومهم على طول الساحل . »

ويقول شوارزكوف :

« وتلت القوات السعودية أرتال الفرقتين الأولى والثانية لمشاة البحرية الأمريكية .[1] »

وبالفعل فقد كانت القوات السعودية ومعها قوات كويتية هي طلائع القوات المشتركة التي دخلت مدينة الكويت وحياها سكان المدينة من أعماق قلوبهم .

(١) صحيفة الحياة العدد ١٠٢٥٣ في ١/٣/ ١٩٩١ م



مجموعة من نسور الجو السعوديين في احدى القواعد الجوية السعودية

وقف إطلاق النار
لعاصفة الصحراء

لقد رفضت القيادة العراقية جميع العروض الدولية والعربية للانسحاب من الكويت بدون شروط ، فتصاعد الموقف الدولي ممثلاً بقرارات مجلس الأمن إبتداءً من القرار رقم ٦٦٠ إلى أن بلغت القرارات الصادرة من مجلس الأمن الدولي ١٢ قراراً كلها تضيف عقوبات وإجراءات متصاعدة ضد العراق ، وكان آخر هذه القرارات قرار حق استخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت .

وعندما تراجعت القيادة العراقية عن إصرارها على الرفض بعد اندلاع العمليات الجوية وقبل نشوب العمليات البرية لعاصفة الصحراء ، كان ذلك بعد فوات الأوان .

ومن هنا كان لابد للدول المناوئة للعراق ان تضيف شروطاً جديدة بمقتضي التطورات المتصاعدة للأزمة .

وعندما بدأت العمليات البرية لعاصفة الصحراء وأعلن العراق قبوله لقرارات مجلس الأمن الدولي جميعاً وأمر قواته

بالانسحاب من الكويت فان ذلك جاء متأخراً جداً ، أي بعـد أن أُلحقت الهزيمة العسكرية بالعراق ووقعت مناطق شاسعة من جنوب العراق تحت احتلال القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية .

ولذلك فقد رفضت القوات المشتركة وقف إطلاق النار إلا بشروط جديدة .

وقـد قدمت الـولايـات المتحدة الأمريكية مشروع قرار بوقف الحرب إلى مجلس الأمن الدولي تضمن الشروط التالية :

ـ تأكيد إستمرار مفعول القرارات الـ ١٢ الصادرة من قبل .

ـ مطالبة العراق باتخاذ كل الخطوات الضرورية على الفور للوفاء بالتزاماته الناشئة عن القرارات المذكورة ، وأن يقوم العراق على وجه الخصوص بما يأتي :

(أ) ابطال كل إجراءاته المتعلقة بضم الكويت .

(ب) أن يتحمل مبدئياً التزاماته تجاه أي خسائر أو أضرار لحقت بالكويت ودول ثالثة ومواطنيها نتيجة الغزو والاحتلال غير الشرعي للكويت .

(ج) اطلاق سراح جميع الكويتيين ومواطني الدول الاخرى تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر .

(د) اعادة جثث الكويتيين وأي مواطنين ينتمون إلى دول ثالثة .

(هـ) اعادة جميع الممتلكات الكويتية على الفور .

- ويطالب المجلس العراق بما يأتي :

(أ) وقف الأعمال العدائية وقفاً دائماً .

(ب) تعيين قادة عسكريين عراقيين لمقابلة نظرائهم من الدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت بحلول الثاني من مارس .

(جـ) اطلاق جميع أسرى الحرب فوراً .

(د) إعـادة جثث القتـلى من جنـود قوات الدول الأعضاء المتعاونة مع الكويت .

(هـ) توفير المعلومات الضرورية المتعلقة بالألغام والمتفجرات والأسلحـة الكيماوية والجـرثـومية الاخرى في الكويت وفي المنـاطق العراقية التي تخضع للسيطرة المؤقتة لقوات الدول المتعاونة مع الكويت .

(ط) يؤكد المجلس حق تلك القوات في استئناف عمليات القتال إذا لم يستجب العراق لكل المطالب الواردة في القرار .[1] .

وقد استجاب العراق لجميع هذه المطالب وتوقفت الحرب في الأول من شهر مارس ١٩٩١ م .

---

(١) صحيفة الحياة في ١ / ٣ / ١٩٩١ م

المحتويـــــــــات

كتب أصدرناها

١ - ملحمة العرب الشعرية :

منظومة شعرية عربية نهجت فيها منهجاً توخيت فيه مخاطبة الوجدان العربي العام الذي لا يتقيد بالحدود السياسية المصطنعة ولا يقف عند الحواجز النفسية المفتعلة .

٢ - جذور الارهاب وأهدافه :

كتاب أقمت فيه الحجة على أن الارهاب مخطط يهودي ومؤامرة يهودية تستهدف أمن العالم واستقراره وخلق الفتن وتغذية الصراعات في جميع أنحاء العالم وعلى مختلف مراحل التاريخ .

٣ - الاحلام وتفسيرها :

كتاب نوضح فيه كيفية حدوث الرؤيا وما هو الحلم الصحيح وما هو اللا حلم وكيفية تعبير الرؤيا .

٤ ـ « لا » عربية للارهاب :

كتاب نوضح فيه التحالف الخميني الاسرائيلي ونكشف محاولتهما تخريب ونسف القضايا العربية والاسلامية وممارسة الارهاب ضد العرب وتصدي العرب البطولي للارهاب الخميني الاسرائيلي .

٥ ـ حقيقة اليهود :

كتاب يؤكد أن اليهود ليسوا شعباً كالشعوب ويؤكد أن اليهودية ليست دينا سماوياً .

٦ ـ النخيل في منطقة حائل :

بحث يتضمن الكثير من المعلومات عن النخيل في منطقة حائل وما تحتاجه من معاملات في مختلف مراحل نمو النخلة منذ هي برعم في حضن أمها حتى تصير نخلة تجد بالحبال .

٧ ـ سبل السعادة :

كتاب يوضح ما هي السعادة وما هي أهم السبل الموصلة اليها .

٨ ـ التقويم الزراعي لمنطقة حائل :

كتاب ارشادي يوضح ما هي أهم المحاصيل الزراعية الصالحة زراعتها في منطقة حائل ومعاملاتها وأوقات زراعتها وتربية الاغنام والعناية بها .

٩ ـ بطولة نساء العرب :

كتاب يترجم بايجاز لعدد من النساء العربيات الخالدات اللاتي فعلن فعل أبطال الرجال أو رأين رأي الحكماء فكان لهن اسهامات مشرفة في تاريخ العرب المجيد .

١٠ ـ الكويت والحقائق :

كتاب يثبت بالأدلة القاطعة أن الكويت لم تكن جزءاً من العراق وانها تدخل في إطار جزيرة العرب وبينها وبين العراق حدود اقليمية واجتماعية فاصلة .

الطبعـــة الأولـــى

عـــام ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بموجب فسح الادارة العامة للمطبوعات

بـوزارة الاعـــلام

رقم ٦١٧٧ / م في ٢٢ / ٩ / ١٤١١ هـ



هذا الكتاب

يرصد هذا الكتاب أهم تطورات أزمة الخليج التي نشأت عن إجتياح القوات العراقية لدولة الكويت في الثاني من شهر أغسطس عام ١٩٩٠ م ومواكبة حية لعمليات « عاصفة الصحراء » من أجل تحرير الكويت .

المؤلف

مطابع النهضة الوطنية حائل - ٥٣٣١١١١